إلى الباحثين عن السعادة

الطريق إلى السعاده من جحيم الدنيا
إلى نعيم الدنيا والاخره

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع

مهداه إلى كل مسلم

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

إلى الباحثين عن السعادة

الطريق إلى السعاده من جحيم الدنيا
إلى نعيم الدنيا والاخره

تأليف/

عبد الجليل بن محسن بن عبد الله العرقي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْـهِ، ونعـوذُ بِـاَللَّهِ مِـنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مضلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْـدُهُ وَرَسُولُه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه , ومن تبعهم بإحسان إلى يـوم الـدين وسلم تسليمًا كثيرا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [سـورة آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [سورة النساء:١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١]

أَمَّا بَعْدُ:

فقد بين الله ﷻ حقيقة هذه الدنيا وقلة لبث الإنسان فيها حتى لا يغتر بها فقال في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [سورة آل عمران:١٨٥]

لان هناك الكثير من الناس إلا من رحمة الله قد اغتروا بها فأثاروا الفتن والحروب في أو ساطهم وأقاموا القتل والقتال فيما ببنهم علَّهم أن يحضوا برأسه أو وزارة أو جاه أو ملك بُغية أن ينالوا العز والسعادة من وراء الحروب مع أن الحرب ليس فيها عزيز أبداً وإنما الكل فيها خاسر ونادم حتى قال الحكماء أول الحرب عدامه وأوسطها ملامه وآخرها حسره وندامة وهذا لا يحصل إلى من أرباب العقول أي أن أولها سوء فهم وعدم إدراك لِما ستجلبه من كثره مصائب ومزيد نكبات وأوسطها ملامه يلوم نفسه حال حدوثها ويلومه الناس على دخوله فيها وخوضه لها وآخرها حسره وندامه لما حصل فيها من خسائر الأرواح والأموال دون وصول إلى ما كان يسعى إليه حتى وإن حصل عليه أو على شئ منه فقد فوَّت الفوز الأعظم والفلاح الأكبر ألا وهي سعادة الدارين إلا أن يتداركه الله برحمته ولطفه وهذا لا يحصل إلا من أصحاب العقول الضعيفة أصحاب السفه والطيش والحماقة الذين ليس لهم دراية تامة بنتائج الأمور وعواقبها أما أصحاب العقول الرزينة والعقول النيرة المستنيرة فقد رزقهم الله عقلاً ووعياً وإدراكاً يدركون أباعدا الأمور وعواقبها ونتائجها حتى قال العلماء (العقل رزق).

فمن رزقه الله عقلاً نيراً رزيناً فإنه لا يرضى أن يؤذي مسلماً لأجلها فضلاً عن أن يستبيح دمه أو يهتك عرضه أو يستحل ماله لأجل أن يصل إلى شئ من حطامها وشهواتها أو أن يُلبي شيء من مطالبه ومآربه الدنيوية.

فمن أمعن النظر فيها فإنها لا تغره لذاتها ومطامعها الدنيوية وشهواتها

المالية وذلك لعلمه أنه بموته وإرتحاله عن هـذه الحيـاة سـتنقطع عنـه الـلذات والمطامع والشهوات.

قــــــال الله ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ۝٢٠٧﴾ [سورة الشعراء:٢٠٥-٢٠٧]

فحقيقة الفوز والفلاح ليس هنا إنما هو هناك قال تعـالى ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى:٧]

قــال ســبحانه ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران:١٨٥]

فمن أمعن النظر فيها أدرك حقيقتها حـتى قـال بعـض الحكمـاء (الحيـاة كالطريق المتلف فكل شئ تفعله فيها سـيعود عليـك يومـاً مـا) لِذا فافعـل كل جميل فيها فهو مردود عليك حتى قال الشاعر

إزرع جميلاً ولو في غير موضعه   فلن يضيع جميلاً أينما زُرعا

إن الجميل وإن طال الزمان به   فليس يحصده إلا الذي زرعا

فمن زرع عنباً حصد عنباً ومن زرع شوكاً حصد شوكاً فأختر لنفسـك مـا تُسَرُ به فهذا هو أول باعث دفعني إلى كتابة موضـوع في هـذا المجـال كمـا أن

الدافع الثاني لكتابتي وتأليفي هـذا الكتـاب وذلـك عنـدما تأملـت في أحـوال الناس كلهم جميعًا مُسلمهم وكافرهم وتقيهم وفـاجرهم فوجـدتهم يختلفـون في أشكالهم وألوانهم وفي أعمالهم ومكتسباتهم وفي تحركاتهم واتجاهـاتهم ولكـنهم يتفقون في مطلب واحد وأمنية واحدة ومشتهى واحد وفي هدف واحد وغايـة واحدة، ألا **وهي البحث عن السعادة** وأمنية تحقيـق السـعادة في الحيـاة وبعـد الممات، فالكل منهم يريد من وراء تجارتـه أو زراعتـه أو دراسـته وغـير ذلـك، يريد أن يكون سعيدًا وأن يحقق السعادة في حياته وهكذا بعد مماته، ولكـن الكثير منهم قد أخطأوا طريق السعادة وانحرفوا عن مسارها وساروا يطلبونهـا من غير أبوابها الصحيحة، إما جهلاً منهم بها أو غفلة من بعضهم عنها، وهذا مما دفعني إلى أن أكتب في هذا الموضوع حـتى أُبـين لآبـائي الكـرام ولإخـواني الأعزاء سبيلها القويم وطريقها المستقيم الذي من سلكه وعمل بـه يسـعد ولا يشقى وينعم ولا يبأس، ويُصلح الله حاله ومآله ودينه ودنياه وآخرتـه بـإذن الله رب العالمين.

وقد جعلت مضمون كتابي هذا في أمور عدة ومنها: أن يكون قائمًا على الأدلة الشرعية من كتـاب الله وسـنة رسـوله ﷺ وأقـوال السـلف الصـالح، وكذلك أيضًا مدعومًا بالأمثلـة والقصـص الـتي تتناسـق وتناسـب مـع هـذا الموضـوع، حيـث وقـد جعلـت هـذا الكتـاب مقسـمًا إلى أبـواب ثلاثـة:

الباب الأول: مكون من فصلين اثنين وهي على النحو التالي:

أما الفصل الأول: فيشتمل على مفهوم السعادة وأقسامها.

أما الفصل الثاني: فيشمل الأسباب الموصلة إلى السعادة.

الباب الثاني: ويحتوي على حقيقة السعادة.

الباب الثالث حتى تكون سعيداً: معنى السعادة.

هذا وأسال الله العلي القدير أن يستعملنا لطاعته وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم وذخراً للإسلام ونافعاً للمسلمين كما أسأله سبحانه أن يجزي والدي العزيز بخير الجزاء الذي أعانني وشجعني على إخراجه وطباعته ونشره وأن يُبارك في إخواني الأفاضل الأكارم الذين بذلوا ما في وسعهم لمساعدتي وعوني عليه والفضل في ذلك أولاً واخيراً لله وحده وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه/ عبد الجليل بن محسن بن عبد الله العرقبي الحلة - جهران اليمن.

حررت في ١ ذي الحجة ١٤٤٠هـ

الباب الأول

الفصل الأول:

مفهوم السعادة:

السعادة لغة: الفرح والابتهاج والرضى والشعور بالاستقرار النفسي.

واصطلاحًا: تعني انشراح الصدر وطمأنينة القلب وصفاء النفس وراحة البال فإذا تحقق لشخص هذا سار سعيدًا بحمد الله رب العالمين.

قال الله في محكم التنزيل: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

والسعادة الحَقَّةُ هي السعادة الأبدية السرمدية التي لا انقطاع فيها البتة، قال مجاهد في قول الله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي: غير منقطع، وقال غيره: أي: غير منزوع عنهم.

وقال المفسر السعدي: «أي الدائم المستمر غير منقطع بوقت من الأوقات»[1].

فهذه هي السعادة الحقة التي ينبغي أن نسعى إليها وأن نحققها وأن نعمل بالأسباب الموصلة إليها، فكم أناس فتنوا بشيء من زبالة الدنيا وملذاتها المنقطعة ونسوا تلكم اللذات العالية وذلكم النعيم المقيم الذي لا ينفد ولا

[1] «تيسير الكريم الرحمن» عند تفسير الآية.

ينقطع عن أصحابه وأهله أبد الآباد، ولهذا ينبغي أن نعلم بأن الدنيا والتعامل معها يكون بالجوارح لا أن تدخل إلى القلوب حتى لا يطغى حبها على حب ما عند الله، وما أعده الله فنؤثر ما عند الله، نقدم ما يحبه وما يريده الله على ما تريده أنفسنا وما تميل إليه وما يميل إليه الهواء ويدعو إليه الشيطان.

ولا يوفق العبد لذلك إلا إذا كان ينظر إلى الدنيا بعين الاحتقار وبعين الازدراء وأنها صغيرة هيِّنة فإذا كان العبد كذلك هان عليه كل شيء فيها، وصغر عنده أمرها وما يحصل له فيها، فصار لا يُبالي بكل ما يجري له فيها وما يحدث له فيها من الابتلاءات والمنغصات والتمحيصات من هموم وغموم وأكدار وأحزان، وفقد أحبَّة، ومال، وأصحاب وغير ذلك، عندما يعلم حقارة هذه الدنيا وأنها لا تساوي عند الله شيئًا، لكن إذا غرَّته وصارت كبيرة في عينه وعظيمة أمامه، صار كل ما يحدث له فيها من أنواع البلايا والرزايا عظيمًا وكبيرًا وهذا الصنف لا ينتظر من وراء ذلك إلا الشقاء والتعاسة والعناء ولن ينفعه هذا - أعني تعظيمه لها ولأمورها- ولن يَرُدَّ ذلك شيئًا مما كتبه الله وقدره وسبق في علمه غير ما يجني على نفسه من ضعف في جسده وهموم وغموم تعتريه، وهذا إن دل في هذا الشخص فإنما يدل على ضعف إيمانه بربه وثقته بما عنده وتوكله عليه وتفويض أموره إليه، ألا فليراجع إيمانه وليُعِد النظر في دينه وفي حاله مع ربه جل وعلا، ويسأله المزيد من الإيمان النافع والعمل الصالح.

أقسام السعادة:

السعادة تنقسم إلى قسمين اثنين:

القسم الأول: السعادة الدنيوية

مؤقتة بعمر قصير محدود من طلبها ربما يجدها لكن ما أسرع ما يفقدها بغمسه واحدة في جهنم، فهذه السعادة بما فيها من التظاهر والتصنع من أصحابها ما أسرع ما تتلاشى وتضمحل وتزول وتنتهي بنهاية الانسان في هذه الحياة، بل بعضها لا تدوم لصاحبها سوى ساعات أو دقائق معدودة، ثم يعقبها المنغصات والويلات لأصحابها، إذا كانت في معصية الله ﷻ .

القسم الثاني: السعادة الأخروية

الدائمة التي لا انقطاع لها ألبتة، فلو حصل للإنسان في حياته واحد قاعد يفكر وقال:

لو كان اليوم أمس كان اليوم سبت. ما هو اليوم الذي هو فيه ؟ روى الإمام مسلم[1] رحمه الله: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ

---

[1] برقم (٢٨٠٧).

لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

الفصل الثاني

أسباب السعادة:

من المعلوم أن السعادة هي بيد الله فهو المالك للسعادة وهو المعطي لها، يعطيها من يشاء من العباد ويتفضل بها على من يشاء ولكن من حكمته ورحمته وعدله أن جعل لها أسبابًا وأمورًا موصلة إليها فمن أخذ بالأسباب صار سعيدًا وصار من أهلها، ومن تركها ولم يعمل بها صار شقيًّا في الدنيا وفي الأخرى، ومن أهم والأسباب والمسببات لها ما يلي:

السبب الأول: الدخول في الإسلام والعمل بمقتضاه

فالإسلام هو السبب الأول وهو السبب الأعظم؛ لأن يكون الإنسان سعيدًا قال الله في محكم التنزيل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ الأنعام: ١٢٥

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشرائع السماوية غذاء القلوب».

فالهداية والتوفيق للإسلام من أعظم أسباب سعادة المرء وسعة صدره واستنارة قلبه وعقله، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

فالشخص في ظل الإسلام والتمسك بالإسلام يذوق حلاوة الحياة ورونقها وطعم الراحة وطيب العيش فيها، بل ويستشعر جمال الحياة وصفاؤها, فالعيش مع الإسلام يجعل حياة الإنسان نور وعيشه نور ويجعل حياته تسير خصبه ومليئة بالصفاء والنقاء والحب والوفاء وهذا هو الحاصل إذا عمل بمقتضى الشريعة، تجده لا يبالي بِنَصب الحياة ولا بمتاعبها، ولا بما يحصل ويدور حوله من منغصاتها؛ وذلك لما دعاه ووجهه إليه الإسلام، وعرّفه أن

الحياة قصيرة وحقيرة، وأنها لا تستحق أن يضحى من أجلها بشيء حتى قال القائل: «ما ذهب فات، وما فات مات وما هو آت آت».

فمهما عظمت فيها المصيبة وكبرت فيها البلية فإنها أحقر من أن تذكر ما دام أننا سنترك الدنيا بأجمعها ونرحل.

قال العلماء: «كل شيء يبدوا صغيرًا ثم يكبر إلا المصيبة فإنه تبدوا كبيرة ثم تصغر».

إذًا فليكن شعار المسلم فيها، كما قال العلماء: «لا تبكي على شيء مضى لو كان فيه خيرا لبقى».

البعض يظن أنه عِندَ أَن يحصل له شيء من الابتلاء، أو حصول مكروه يظن بأن الدنيا قد أغلقت أبوابها أمامه، وأنه لا خير إلا فيما كان عليه من سابق، وما علم المسكين بأن الخير كامن في الشر ، وأن الله سبحانه وتعالى إذا أغلق على عبده بابًا فتح له أبوابًا أخرى.

فالله لطيف بعباده رحيم بهم لا يحب لهم إلا خيرًا، وإن ظنوا عكس ذلك، ولكنهم يستعجلون، فكم من أناس أعرفهم ما حصلت لهم مصائب، كانوا يظنون أنها القاضية عليهم فمرت الأيام فكانت سبب عظيم لنيل الخير لهم مدة بقاء حياتهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أخرج الإمام مسلم(١) : من حديث صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

---

(١) برقم (٢٩٩٩).

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ له خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُ ؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

فحياة المسلم كلها خير فهو يتقلب في الخير أبدًا سواء كان في سراء، أو في ضراء، في خير، أو في شر، فكله يَصُبُ في صالحه.

فكم من أناس ما عادوا إلى الالتزام بالدين حقيقة والتمسك به والعمل بمقتضاه؛ إلا عندما أصابهم من الشر ما أصابهم، ونزل بهم من البلاء ما نزل بهم. فكم من أشخاص أعرفهم عادوا إلى الله وعرفوا الله وختم لهم بالخير إلا عندما ابتلاهم الله بالمرض، أو نحوه من الآفات والصدمات والأزمات، ولو ما نزل بهم ذلك لربما ضلوا في غياهيب الجهالة والغفلة والانحراف، ويكون مآلهم إلى ما لا يحمد عقباه، والعياذ بالله.

فالله لطيف بعباده حكيم بهم رحيم بنا، أرحم بالمرء من نفسه ووالده والناس أجمعين فهو أعلم بما يصلح إيمانهم وعبادتهم وبما تصلح به أحوالهم وحياتهم ومآلهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

ولهذا انظروا إلى من فَقِهَ الإسلام حقًا وأدرك معنى الإسلام، هذا رجل مسلم كان يعمل في إحدى الشركات، في إحدى دول الكفر، وكان يظ ل مبتسمًا لا يبالي بشيء مما يحصل له من الحوادث في الحياة، فسأله صاحب الشركة يومًا فقال له مالي أراك كل يوم مبتسمًا على الرغم من قلة راتبك

الشهري، ونحن الذي لدينا من الأموال الطائلة ما لدينا نجد من الضيق والكآبة والحزن ما نجده؟ فقال له: عَلَمَنِي الإسلام ذلك. فقال: كيف؟ فقال له إن رسولنا محمد ﷺ يقول: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1] .

فالمسلم دائمًا يتقلب في الخير ويتنقل في منازل الخير سواء حصلت له نعمة أو أصابته نقمة فهي كلها له خير فقال له: وما هو الإسلام؟

فقال له الرجل المسلم: اذهب اغتسل ثم تعال، فذهب الرجل واغتسل وأتى إليه فقال له: قل: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله)، فقال هذا الرجل: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله)، ثم أنفجر بالبكاء، وقال: والله لقد أحسستُ ببرودة في صدري لم أشعر بها منذ أن خلقتُ.

انظروا شعر بانشراح في صدره وطمأنينة في قلبه، وصفاء ونقاء في عقله لم يجده مدة بقائه في كفره، أخبرني بها من أثق به. ولهذا جاء من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا»[2] .

---

(١) رواه مسلم، من حديث صهيب الرومي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم.

أسباب السعادة:

فالحمد الله على نعمة الإسلام وعلى نعمة الإيمان وعلى نعمة الهداية للحق ونسأله الثبات عليه والمعرفة بمقتضاه.

السبب الثاني: إقامة التوحيد

اعلم رحمك الله وحفظك ورعاك، أن من أعظم ركائز صلاح حال العبد واستقامة أمره، هو توحيد الله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ، من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»[١] .

ومرادنا بالتوحيد: إفراد العبادة لله وحده، فلا خضوع ولا خشوع ولا ركوع ولا سجود ولا دعاء ولا نذر ولا خوف ولا رجاء ولا حب ولا تعظيم إلا لله، ولا براء ولا ولاء إلا في الله، ولا تعلق ولا تفويض ولا اعتماد ولا توكل إلا على الله وحده لا شريك له في ذلك.

فإذا الشخص أخلص لله وصدق مع الله وأحسن الظن بالله وتوجه إليه التوجه الكامل التام فليبشر بالسعادة المحققة له في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال سبحانه: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ [يونس: ١٠٧]، فإذا أيقن العبد وقويت صلته بالله وسلم أمره إليه سبحانه، فإنه لا يبالي بأي شيء يجري حوله من ما يكدر عليه صفوة حياته،

---

[١] أخرجه البخاري (٩٩).

ولهذا قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: « إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى يتيسر له، نظر الله من فوق سبع سموات فيقول للملائكة: اصرفوا عنه فإني إن يسرته له أدخلته النار، قال: فيصرفه الله عز وجل، قال: فينطق يحي تدان سبقي بفلان وما هو إلا فضل الله عز وجل عليه»(١).

فهذا يونس عليه السلام عندما رمي في البحر والتقمه الحوت، توجه إلى الحي الذي لا يموت الذي يقول للشيء كن فيكون، فجاءه الفرج والمخرج، قال الله حاكيًا عنه: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]. من المفسرين من قال: إن معنى قوله: «من المسبحين» من الموحدين، فبالتوحيد يحصل للعبد السلامة والنجاة، والفرج والمخرج، الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر.

فما أحوجنا إلى أن نحقق التوحيد في عباداتنا في أمورد ديننا ودنيانا حتى نسعد وننعم في حياتنا وبعد مماتنا، فتوحيد الله هو أساس كل خير وأساس لكل سعادة ونجاة، بل إنه أساس للأمن والإيمان والاستقرار النفسي والاطمئنان، لكن متى فسد توحيد العبد وصار يتخبط في منازل الشرك تارة يدعو الأشجار تارة والأحجار تارة والأحياء تارة والأموات، وتارة الأنبياء وتارة الملائكة وتارة العفاريت وتارة السحرة، هذا يسير أمره في شتات ويكله الله

---

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٢١٩)، واللفظ له، وأبو نعيم «حلية الأولياء» (٨/٢٥٢).

إلى من اتكل عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من تعلَّق شيئًا وكل إليه»[(١)].

فيصير أمره إلى الشتات أمره وإلى الضياع والهلاك والدمار والشقاء عياذًا بالله، قال وهب بن منبه لما رأى عطاءً الخرساني يأتي إلى بعض الملوك، وهم يعرضون عنه: «ويحك يا عطاء ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا، يا عطاء تأتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه وتدع من يفتح لك بابه ويظهر لك غناه ويقول ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] ويحك يا عطاء ارض لك بالدون من الدنيا مع الحكمة ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا، ويحك يا عطاء إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يكفيك ويحك، يا عطاء إنما بطنك بحر من البحور وواد من الأودية لا يملؤه شيء إلا التراب»[(٢)].

ولهذا قال الشاعر:

لَا تَطْلُبَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً ... وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُغْلَقُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يسأل يغضب[(٣)]

فالذي لم يحقق التوحيد في عبادته ودعائه، فإن أمره يسير إلى الشتات

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٨ / ٤٢٧٧)، (٨ / ٤٢٧٨) والترمذي (٢٠٧٢) والحاكم في «مستدركه» (٤ / ٢١٦) وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢٣٩٢٣) والطبراني في "الكبير" (٢٢ / ٣٨٥) عن أبي معبد الجهني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) رواه أحمد في «الزهد» (١٤٢٤).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٠٦/١) غير منسوب.

فيتشعث قلبه ويتشتت فكره ويتشعب عقله، ويعيش حياة التيه والضلال، فلا تراه إلا وهو يتنقل في منازل الشركيات والخرافات والخزعبلات، فمرة يذهب إلى السحرة الفجرة وتارة إلى المنجمين الخسرة، وتارة يتمسح بأتربة الموتى، وتارة أخرى يستنجد ويستغيث بالضريح والرفات والعظام، والأشجار والأحجار، فهذا الصنف كيف يُرجى له أن يسعد وينعم في حياته وبعد مماته، وهذا حاله، وقد ترك ربه ونسي ربه وأساء الظن بربه وافتقر إلى غير ربه عز وجل الذي يقول للشيء كن فيكون، والذي بيده الدنيا والآخرة والحياة والممات بيده وبتدبيره سبحانه وتعالى.

السبب الثالث: الإقبال على القرآن الكريم تلاوةً عملاً وحفظًا وتدبرًا.

قال الله في كتابه الكريم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] فمن أعظم أسباب شِفاء الصدور ونعيم الأرواح وضياء الوجوه: سلوك الصراط الذي به ينعم العبد ولا ييأس ويسعد ولا يشقى إنه الانكباب على القرآن قراءة وتدبرًا وعلمًا وعملًا وتعلمًا وتعليمًا.. قال الله في كتابه الكريم: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ المائدة: ١٥

فمن عمل به، صارت حياته نورًا، فهو نور هذه الأمة المحمدية ورُوحها الذي به تحيا الأمة، وتنبعث فيها العزة والكرامة والراحة والطمأنينة، قال الله في كتابه الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ [الشورى: ٥٢]، فهو سبب عظيم لزوال الهموم والغموم والأحزان من القلوب والصدور، وكيف لا يكون كذلك، وقد قال رسولنا في الحديث الذي رواه ابن أَبِي دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه: «اقرأوا الْقُرْآنَ وَلا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ الْمُعَلَّقَةُ فَإِنَّ اللَّهَ

لا يُعَذِّبُ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ» ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثا.

قال وهيب ابن الورد: «قيل لرجل ألا تنام؟ -وقد كان يظل طوال ليله يقرأ القرآن ويتفكر فيه- فقال: إن عجائب القرآن أطرْنَ نومي»[1].

ولهذا لا عجب من قول السلف الذين عاشوا وتلذذوا بمنجاته، فالذي يتفكر في آيات القرآن ويغوص في معانيه إنه يجد الراحة في نفسه، والطمأنينة في قلبه وتقر عينه بذلك، والذي يعيش بعيدًا عن القرآن وعن التَّمَعُّنِ فيه، فإنه يعيش حياة البؤس والعناء والنكد والشقاء، كيف لا؟ والله يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، نعم إنه يعيش في الأدواء والأمراض والآفات والعلل والغفلات والظلمات، ولم لا يكون كذلك؟ والله يقول: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ ويقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]؛ فالله نور ونبيه نور وكتابه نور والحياة معهما نور، والعيش معهما بنور يتنور به العبد ويتبصر به ما ينفعه وما يضره وما يصلحه وما يفسده وما يسعده وما

[1] رواه ابن الدنيا في «التهجد وقيام الليل» تحقيق الرقي (٦٥).

يسوؤه.

قال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله: «إني لأنظر وأتفكر في آية من آياته فيحير عقلي بها -أي: ينبهر حين يقرأها- قال: وإني لأعجب ممن يقرأون القرآن كيف يهنئهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، ولو عرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحًا بما رزقوا»[1].

نعم والله لقد أدركوا عظمة هذا القرآن وما فيه من الهدى والخير والنور والنجاة والإصلاح العظيم للقلب والروح وللعقل والبدن، بل ولإصلاح الدنيا والآخرة، جاء من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»[2].

أي هؤلاء الذين يقربهم الله ويؤويهم ويكلؤهم برعايته ويحفظهم بحفظه سبحانه وتعالى فكأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل منزلة من يقرأ القرآن من ربه بمنزلة الولد المدلل من الأب الحنون المشفق، وأي شيء يريد العبد بعد هذا أن يسير محبوبًا عند ربه جل وعلا؛ لأن من أحبه الله رضي عنه ومن رضي الله عنه وفقه للخير وسدده وأنعم عليه وأكرمه بجنة عرضها السموات والأرض، قال أحد السلف: «كل نعيم دون الجنة فهو فانٍ، وكل بلاء دون النار فهو

[1] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/٢٢).
[2] رواه أحمد (٥ / ٢٥٨٩)، (٥ / ٢٥٩١)، (٦ / ٢٨٦٨)، وابن ماجه (٢١٥).

عافية». فما أعظمه من إكرام من ملك الأملاك وسيد الكون والأفـلاك، جـل جلاله وتقدست أسماؤه، ومن لم يحبه الله فلن يهنأ بحياة ولا يطيـب له عـيش ولو ملك الدنيا بحذافيرها.

السبب الرابع: طلب العلم.

وما أدراك ما طلب العلم؟.

وأعني بالعلم, العلم الشرعي علم الكتاب والسنة، لا العلوم المادية الدنيوية غير النافعة، كعلم الكلام والفلسفة والنظريات و... التي أغلبها تراهات وخزعبلات ولا تغني أصحابها بشيء لا في دُنياهم ولا في أُخراهم، هذه علوم رجعية وتخلف بل وحمق؛ لأنها وليدة الغرب ومن منتجات الغرب أتوا بها ليفسدوا على المسلمين دينهم ويضيعوا بها شبابهم وعقولهم وحياتهم وأخراهم، ويقتلون عليهم أوقاتهم وأعمارهم، وهذا هو الحاصل والمشاهد في الواقع المعاش، فكم أناس كثر لا كثرهم الله أفنوا شبابهم وقضوا أعمارهم وضيعوا أوقاتهم وصارت حياتهم شذرًا مذرًا، في دراسة هذه العلوم الدنيوية، فلو نظرنا إلى حال المسلمين في هذا المجال أعني مجال العلم والتعليم لوجدنا العجب العجاب، تجد كثيرًا من أبناء المسلمين قد اهتموا بالعلوم المادية الدنيوية التي لا تكاد أن تنفعهم ولا يكادون أن ينتفعوا بشيء منها، كما هو الحاصل، في الجامعات والكليات بمختلف مستوياتهم الخاصة والعامة.

فترى بعضهم من يصرف جل وقته بل وكل عمره في دراسة النظريات، وقراءة الروايات التي كلها كذب وخيال ودجل وتلبيس بل وحماقة وضياع وميوعة لا تجد فيها إلا جمل تافهة حقيرة، يقول: محمد ضرب طه، فمات طه، فغضبت مريم وهكذا يقضي حياته، وهو على هذا الحال لا يعرف قيمة الحياة ولا قيمة الوقت والعمر الذي أنعم الله به عليه وأسداه له.

بل أشد من ذلك وأضر أن تجد من أبناء المسلمين من يفني حياته في دراسة الشعر والشعراء ودراسة نقدهم وأعمالهم وكيف عاشروا وكيف ماتوا؟ يدرس حياة هؤلاء الذين أغلبهم منسلخون من الإسلام تمامًا، من المطربين والفنانين والممثلين من الغرب الذي هم أحقر من أن يُذكروا ولا يستقي من كلامهم إلا الرديء الذي فيه سخرية بالدين وبأهل الدين، بل واستهزاء بالله وبرسوله، وصحابته الكرام رضى الله عنهم، ولو كان في المجال متسع لذكرت أمثلة من ذلك، ولكن ليس هذا مقام ذكرها.

وكذلك أيضًا تجد أخرين يشغلون أنفسهم بعلم الجغرافيا وعلم الآثار وتركوا العلم المنزل المفصل على سيد الخلق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تركوا الميراث النبوي: كتاب ربنا وسنة نبينا الذي فيه خير الدينا والآخرة، وأقبلوا على أمور فارغة تافهة حقيرة، حتى ذُكرَ أن أحد الناس بلغ الثمانين من عمره وهو يقرأ طريق الفيل من أين أتى من مكة إلى المدينة؟ ومن أين مرّوا؟ وأين أكلوا؟ وأين شربوا أصحاب الفيل؟ أضاع وقته وعمره وهو يقيس طريق الفيل ويظن أنه قد وصل إلى إنجاز عظيم في التاريخ!!! وهذا يكون حاله، كما مثله الشاعر(١):

لقد ذهب الحمار بأم عمرو — فلا رجعت ولا رجع الحمار

---

(١) «ديوان عبد الغفار الأخرس»، «موسوعة دواوين الشعر العربي».

ما هي الفائدة من هذه العلوم التي أضرتنا ولم تنفعنا؟ والتي ألهتنا عن ديننا وأشغلتنا عما يراد بنا، وفي النهاية لا نتيجة منها، ولكن هكذا حال من أعمى الله بصيرته، وطمس على قلبه، ولم يوفقه للخير، **والجزاء من جنس العمل، ومن لم يشغل نفسه بالحق شغلته نفسه بالباطل ولا بد.**

نعم لقد اشتغل الغرب بعلوم مادية دنيوية فأنتجوا، وفاقوا، ونحن لا زلنا نشغل أنفسنا بعلوم النظريات والجغرافيا المجردة وعلوم الآثار ونوادر جحا، ودراسة المسرحيات وغيرها... مما يَدْمى الفؤاد من ذكرها، فلم نُفد ولم نستفد، ولم ننتج شيئًا، ونظن أننا نسابقهم في ذلك، وصدق فينا قول الشاعر:

منهم أخذنا العود والسيجارة ... وما عرفنا نصنع السيارة
استيقظوا بالجد يوم نمنا ... وبلغوا الفضاء يوم قُمْنا

فلم نشتغل بأمور دنيانا النافعة كعلوم الطب والصناعة والتجارة المباحة التي فيها نفع للناس، ولم نهتم بأمور الدين الذي فيه العزة والمكانة والمهابة والمجد والسؤدد، والنجاة الأبدية السرمدية في الدينا والآخرة، حتى قال بعض العلماء وهو يتحدث عن حال هذا الصنف: **«لا تنشغل بالوسائل عن المقاصد»**. أي: لا تشغل نفسك بالأمور التافهة الحقيرة التي لا نَفع فيها ولا فائدة، عما خُلقتَ من أجله ثم ضرب لذلك مثالاً فقال: "مثل الذين اهتموا بالوسائل عن المقاصد كمثل قوم أرادوا الحج أي سافروا للحج قال فعرضت لهم حية في الطريق فعقروا الحية فقتلوها، ثم أخذوا يقلبون الحجارة، ويقتلون الحيات والعقارب حتى حج الناس ورجعوا وهم على ذلك الحال" وهكذا حال

من يشغل نفسه بالأمور الفارغة التي لا نفع فيها ولا فائدة، يقضي حياته وهو لا يزال في الغفلة، الناس يحصدون الحسانات ويعملون الخيرات، ويطيعون ربهم، فما يفيق إلا وقد انتهى عمره وانقضى أجله، ولا أجد لهؤلاء مثلا في كتاب الله، إلا قول الله: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧] كفى لطالب العلم هذا الحديث فخراً واعتزازاً أن ينال الرضاء والبهاء والنور في الوجه جاء من حديث عمر بن الخطاب ﵁ قال قال رسول الله ﷺ «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ» وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

بل لقد دعاء لهم النبي فقال نظَّرَ الله إمرأً سمع مني مقاله فوعاها فإداها كم سمعها.

هؤلا يحضون بهذا النعيم وبهذا الأمان والإطمئنان في الدنيا لأنهم لم يكن همهم ما همَّ الناس من أمور دنياهم وإنما كان همهم إصلاح الخلق، فأصلح الله حالهم، ولهذا قال الرسول ﷺ «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ

فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ»هذا مجرب إذا أنت قرأت القرآن في يومك ساعه أو حضرت درساً أو تصدقت بشئ أو قدمت خيراً لأحد فإن تشعر وتحس بهذا الإحساس الطيب والحمد لله رب العالمين.

.

السبب الخامس: تحقيق الاتباع واجتناب الابتداع:

ولهذا قال الله في كتابه الكريم: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في تفسير هذه الآية: «ضَمِنَ الله لمن اتبع هداه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»[١]، ولهذا ما ضل من ضل من هذه الأمة، وما صار المسلمون إلى ما صاروا إليه من نكد في المعيشة وتنغيص في الحياة، وعذاب نفسي وشقاء وتعاسة، إلا بسبب مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم.

انظروا هذا الضمان الإلهي لمن يُعطى لمن أطاع الله واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا سلامة من الضلال ولا نجاة من الغواية ولا سلامة من الخزي والغضب والشقاء والتعاسة والعناء إلا بالتمسك بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الزهري: «الاعتصام بالسنة نجاة»[٢].

وقال عمر بن عبد العزيز: «وعليك بلزوم السنة؛ فإنها لك بإذن الله

---

[١] أخرجه الطبري (١٦/٢٢٥)، وابن أبي شيبة (٧/١٣٦)، وابن أبي حاتم (٧/٢٣٢٨).
[٢] أخرجه الدارمي في «سننه» (٩٧) واللالكائي في «شرح اعتقاد أصول أهل السنة» (١٥).

عصمة»[١] . يعصمك الله مـن الفـتن بأنواعهـا، مـن فـتن القلـوب والنفـوس والعقول، ومن أن تزيغ وتنحرف عن الحـق، وتـذهب إلى غـيره، مـن الكفـر والنفاق والباطل والشك، والوقوع في البدع والأهواء، وعصمة للأبدان مـن أن تتعرض لتلف والهلاك وغير ذلك من أنواع الدمار والشقاء.

فكـم من شخص مخالف لهدي الرسول ﷺ ومعاند ومعـارض ومشـاقق ومحاد لما جاء به الرسول ﷺ وهو يعلم ذلك، ولكنه يغالط نفسه ويبرر موقفه بأمر وبآخر، ويريد أن ينال الخير والعطاء من ربه والسعادة في دنيـاه وأخرتـه، وهو بعيد كل البعد عن أسبابها، فأقول لهذا: ابتعـد عـن المعـاصي والمنكـرات والسيئات والمخالفات، وأقبل على الحق وتمسك به، يجعل الله لك من الإكـرام والقبول ما لا يجعله لغيرك، بـل وتنـال مـن ربـك الحفـظ والرعايـة والدفـاع والكفاية التي أعطاها نبيك عليه الصلاة والسلام، ألم يقل الله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، ومعنى حسبك أي: كافيك، فالله كافي العباد شر كل ذي شر، وكافيهم ما لا يقدرون على دفعـه إنهـم تمسـكوا بشرعـه وعملـوا بهديه، ألا ترضى أن يكون الله معك، في حِلك وترحالك ويقضـتك ومنامـك وسفرك وحضرك وغنائك وفقرك وعافيتك ومرضك، كلنا فقـراء إلى الله، فهـلا عملنا بالأسباب والمسببات التي تجعلنا ننال ذلك من ربنا ﷻ؟

---

[١] رواه أبو داود (٤٦١٢).

السبب السادس: الابتعاد عن الفتن

جاء عن أبي داود[١] من حديث الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ قَالَ ايْمُ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا».

هذا هو السعيد من المسلمين حقًا الذي يجتنب الفتن، التي يبتلي الله بها من يشاء من العباد خصوصًا فتنة القتل والقتال بين المسلمين قال الرسول الله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً»[٢]. عن ابن عمر رضي الله عنهما.

فالناس لا يزالوا في خير وعافية ما اجتنبوا هذه الفتن، فإذا ما وقعوا فيها أصابتهم قوارع العذاب، ونزل بساحتهم الهلاك والدمار، وضاقت بهم الحياة وعم بهم البلاء؛ لكن إذا ما اجتنبوها وصبروا وتعاملوا معها بالصبر والحكمة فاجتنبوها، ولم يرتضوها ولم يشاركوا فيها، هنا بحمد الله تنجلي عنهم بَعْدَ حين وهم سالمون من شرها وعواقبها، يسلم لهم دينهم الذي هو أغلى ما يملكون وتسلم أنفسهم، وكذا تسلم أعراضهم وأموالهم، بحمد الله رب العالمين، ولا يوفق لذلك إلا من أعطاه الله بصيرة وعلم، ودراية بها ورجوع إلى

---

[١] رواه أحمد (١١ / ٥٧٠٦)، وأبو داود (٤٢٦٣).

[٢] رواه البخاري (٦٨٦٢).

علم الشرعية الإسلامية، وإلى علماء ربانيين ناصحين، عرفوا بالرحمة لهذه الأمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أهل السنة أعرف بالحق وأرحم بالخلق».

وكذلك أيضًا لا ينجوا منها إلا من كان عنده قوة أيمان وصبر ويقين وعلم بما عند الله وما قدره الله على العباد، جاء عند الإمام أحمد والترمذي من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(١).

فكل شيء حاصل في الكون إنما هو بقضاء الله وقدره وبعلمه وإحاطته وتصرفه وتدبيره، فما عليك إلا أن تؤمن بهذا وترضى وتُسلم بهذا فإذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كُتِبَ له من خير أو شر أو نفع أوضر أو إعطاء أو منع، قوي أيمانه وعظم يقينه، وازدادت ثقته بربه، وصار لا يبالي ولا يجزع ولا يسخط ولا ييئس مما تنزل به من مصائب وفتن الحياة، بل ويقوي عنده الصبر الذي ينال بسببه كما الإيمان وكمال التوحيد وكمال الإسلام بحمد الله.

قال غير واحد من السلف: «الصبر نصف الإيمان» فلا نجاة للعبد ولا

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢ / ٦٤٨)، (٢ / ٦٧٠)، (٢ / ٦٧٩)، (٢ / ٦٨٠) والترمذي (٢٥١٦).

سلامة له من الفتن إلا بالصبر واليقين.

السبب السابع: الإيمان بالقضاء والقدر

فلا تكن الخيرية للمسلم إلا في مواطن إيمانه وقوة يقينه بالقضاء والقدر، قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣]. فما يصيب العبد في دنياه مما يضره أو ينفعه أو يعافيه أو يمرضه إنما هو مقدر له ومكتوب ومسجل في مقادير ذلك الكتاب السابق من قبل خلق السموات والأرض ولهذا جاء من حديث عبادة بن صامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اجر، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، يا بني إن مت على غير هذا دخلت النار»(١).

وجاء عند مسلم(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

فكل شيء في الكون يحدث سواء كان أمرًا صغيرًا أو كبيرًا، حقيرًا أو عظيمًا، إنما هو بإذن الله وبمشيئة الله، وبقضائه وقدرته، وبعلمه وإحاطته

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥)، (٥ / ٣٤٨) وأحمد (١٠ / ٥٣٦٢)، (١٠ / ٥٣٦٢) والبزار في «مسنده» (٧ / ١٣٧) واللفظ له، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٠٧٢) والطبراني في «الأوسط» (٦ / ٢٤٩).
(٢) (٢٦٥٣).

وتصرفه وتدبيره فما عليك إلا أن تؤمن بهذا وترضى وتسلم لهذا.

فإذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب له من خير أو شر، أو نفع أو ضر، أو إعطاء أو منع، قوي إيمانه وعظم يقينه وازداد علمه بربه وخالقه بأنه هو النافع الضار المعطي المانع القابض الباسط، فهذا هو حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم.

روى الإمام أحمد[١] وغيره من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأبو داود[٢] وغيره من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صلى الله عليه وسلم: «لكل شيء حقيقة. وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه». فهذا الحديث أصل عظيم في كمال إيمان العبد أن يعلم أن ما أصابه من المصائب المؤلمة والمرض والموت وغيرها إنما هو بقضاء وقدر وبعلم وتقدير من الله العزيز العليم سبحانه وتعالى.

بل جاء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عجبًا للمؤمن، لا يقضي الله له شيئًا إلا كان خيرًا له»[٣].

فأبشر يا مؤمن إذا كنت على هذا الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

---

[١] (٦٧٠١/١٢).

[٢] برقم: (٤٦٩٩) وابن ماجه (٧٧). وجاء عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٧٠٠) وغيره. وجاء عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

[٣] رواه أحمد (٥ / ٢٥٦٤)، (٥ / ٢٧٢٨).

السبب الثامن: الصبر على المصاب:

لا شك ولا ريب أن الإنسان وهو في هذه الدنيا مُبتلى ولا بد؛ لم يكن الآن عائشًا هو في الجنة حتى يحصل له كل ما يريد، وكل ما يشتهي، ويزول عنه كل شيء مما يكرهه ولا يحبه؛ لأن هذه الدار هي دار المنغصات ودار الأكدار والأحزان والابتلاء والامتحان قال الله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، أي: عامل عملًا فملاقي الله على ما عمل، ولذا لما كان قد جُبل المسلم على هذا دُعي إلى علاج ذلك حتى يزول عنه ما يجده ويذهب عنه ما لاقاه، مما يسوؤه ألا وهو استعمال الصبر الممدوح في شريعة الإسلام الصبر على الطاعة ليجاهد نفسَه على فعلها والصبر عن المعصية حتى لا يفعلها، والصبر على أقدار الله بمقاومته نفسه حتى لا يعمل شيئًا يغضب الله عز وجل عليه ولا يقولن أحد: «أنا ما عندي صبر أنا ما استطيع أن أصبر» لا، هذا من تلقين الشيطان، وإلا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر**»[(١)] فاسترزق الله عز وجل وأسأله أن يرزقك صبرًا واسعًا عظيمًا، ولن يخيبك الله.

ومن حكمة الله أن جعل الدنيا ملهية مغرية، ليرى أقواهم عزيمة، أيهم يُقدم حق ربه على شهوة نفسه ويتغلب عليها، قال العلماء: «المحضوضون

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، (٦٤٧٠) ومسلم (١٠٥٣)، (١٠٥٣). عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، ومن برَّ بوالديه قبل أن يفارقوه، ومن أرضى ربه قبل أن يلقاه»، وأزيد على ذلك ومن بنى قبره قبل أن يدخله، ومن صلى قبل أن يصلى عليه، تجد بعض الناس جبريًّا في المعصية قدريًّا في الطاعة، والأصل أن نستدل بالقضاء والقدر في المصائب لا نستدل بها في المعائب، فالمعائب يؤاخذ عليها العبد ولو قدرها الله قال أحد الغرب: عشت في أرض المسلمين فوجدت الكبسول المسكن عند العرب أي في عقيدتهم: (قدر الله وما شاء فعل)، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: **«جف القلم بما أنت لاقٍ يا أبا هريرة»**[1].

فلو عَظُمَ الإيمان بالقضاء والقدر في قلوب المؤمنين ما حزن أحدهم على شيء فاته وعلى أيِّ أمرٍ ما... قال الله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وقال سبحانه: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] قال العلماء: «الحسنات والسيئات»، أما ما قدره الله من أعمال العباد فهو كائن ولا بد، فلا تظن عندما فشلت في معاملتك أنه لولا فلان لنجحت فيها، لا، هذا أمر قدر قدره الله من قبل خلق السموات والأرض، ولكن فلان هذا كان سببًا لذلك فقط، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

---

[1] رواه البخاري (٥٠٧٦).

وقال الله حاكيًا عن يوسف عليه السلام: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّـزَغَ ٱلشَّـيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ [يوسف: ١٠٠] فالمصائب تأتي من الشيطان، والناس في هـذا الباب أمام المصائب أنواع، منهم: أهل جزع؛ وهم أهل الجهـل بـالدين، وأهـل الغفلة عما جاءت به الشريعة، ومنهم أهل صبر وأفضل منهم أهل الـرضى، آلا فلنؤمن بالقضاء والقدر، ولنرضَ بما يجري علينا ولنحتسـب الأجـر مـن الله ولنتذكر أجر الصابرين من الله عند ذلك نكن مـن أسـعد النـاس في الدينـا والأخرى.

السبب التاسع: الأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة:

الأخلاق الحميدة المجيدة كثيرة جدًا لا تكاد أن تحصيها إلا الشريعة الإسلامية ومن هذه الأخلاق: العدل والأمانة والرحمة والأخوة والحلم والصبر والوفاء بالوعد والعهد، إلى غير ذلك من هذه الصفات الطيبة، فإذا اتسم المسلم بمثل هذه الأخلاق والصفات الحميدة فقد صار يتبوأ أعلى درجات السعادة في حياته وبعد مماته، بخلاف من اتصف بنقيض هذه الصفات من الظلم والخيانة والقسوة والجهل والطيش والحماقة والسفاهة والتعصب المذموم والتشدد في غير محلة؛ فإنه يجني على نفسه من الهموم والغموم والأحزان والكرب والضيق ما لا يعلم بذلك إلا الله، فالمسلم يتنعم بالأخلاق الحميدة والمعاملة الحسنة، كما أن غيره يشقى بالأخلاق السيئة، والمعاملات الرديئة، ولهذا جاء في الأثر الذي رواه البخاري[1] عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا».

ومفهوم الحديث أن المسلم إذا خرج عن هذه الأخلاق وتعداها إلى الظلم والبغي والجور؛ فإنه يسير ذليلاً خائفًا منكسرًا منتكسًا لا يقدر على ممارسة أعماله وعباداته بعد أن كان حرًا أبيًّا يتنعم بممارسة أعماله وعباداته بحرية وانضباط.

---

(١) برقم (٦٨٦٢).

ألا فليسعَ المسلم إلى مجاهدة نفسه وتوطينها على الاتصاف بهذه الصفات الحسنة الطيبة التي لها منافعها ولها ثمرتها في الدينا وفي الآخرة ولهذا جاء عند عدة من الصحابة أن الرسول ﷺ قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والْآفَاتِ وَالْهَلَكَةِ»[١] .

فالذي يصنع المعروف إلى الناس، هذا يرحمه وهذا يعطيه وهذا يعينه وهذا يرشده وهذا يعفو عنه، وهذا يصبر عليه، الذي يتعامل مع الناس بهذه المعاملة الطيبة هذا من أسعد الناس في الدينا، وهو من أسعدهم في الآخرة، بإذن الله.

ولهذا انظروا ماذا قالت خديجة زوج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عندما عاد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من الغار وهو يرجف لما أتاه الوحي: قال لها: «إني أخاف على نفسي». فقالت له: كلا والله لن يخزيك أبدًا؛ لأنك تصل لا رحم وتقرئ الضيف وترحم الضعيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق.

فاستنتجت خديجة من خلال هذه الأخلاق التي تخلَّق بها نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأن الله لن يضيعه ولن يسلمه لشياطين الأنس والجنّ يعبثون به ويتسلطون عليه، وإنما يحفظه الله ويدافع عنه، ويُسْدِلُ عليه فضله وستره ويجمل الله ظاهرة وباطنة.

فما أحوج الناس أن يحققوا هذه الصفات في أنفسهم وإلى أن يجددوا أخلاقهم، ويتعوذوا بالله من الأخلاق السيئة التي أردت بهم إلى الشقاء

---

[١] رواه الحاكم في «المستدرك» (١/١٢٤) عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

والتعاسة والعناء.

السبب التاسع: عدم الإنغماس في الفتن والدخول فيها:

ونحن في زمن الفتن المتلاطمة والمتنوعة الافتتان بالمال، الافتتان بالجاه الافتتان بالملك، الافتتان بالشهوات، وأخص بذلك فتن القتل والقتال التي يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم: «إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواها»[١].

ولهذا تجد من ابتلي بذلك ترى حالهم مشردين مطرودين في هم وغم ومصائب وفتن لا يعلمها إلا الله، فمن أراد أن يفوز وأن يظفر بالسلامة منها فعليه أن يكون مجتنبًا لها لا يحبها ولا يريدها، ولا يرتضيها ولا يريد الدخول فيها ولا يخوض فيها، فإن من استشرفها استشرفته، فرب كلمة يتقولها المسلم من الشر يصير ضحيتها ومذبوحها وقتيلها، ولهذا لما سئل النبي عن النجاة؟ قال: «امسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[٢].

فما أكثر الذين جاءتهم الفتن واستقبلوها فصاروا في قلق وشكوك وأوهام وحيرة من أمرهم.

فالخير الواسع للعبد عند حصول الابتلاءات والفتن المصائب والمحن أن يُرزق الصبر، والتأني والتروي وعدم والتعجل في الخوض فيها، ولهذا ذكر ابن

---

[١] رواه أحمد (١١ / ٥٧٠٦)، وأبو داود (٤٢٦٣) عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٢] رواه أحمد (٧ / ٣٨٥٢) والنسائي (١ / ١٠٤٢) والترمذي (٢٤٠٦)، عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حبان في «روضة العقلاء» أن العرب كانوا يقولون: العجلة أُمُّ الندامات، بل كانوا يقولون: من تعجل الشيء اكتسب الندامة واجتلب الملامة والمذمة، فالمسلم بحاجة إلى أن يكون صاحب عقل وروية ونظر لأبعاد الأمور وتبصر فيها، لا أن يكون صاحب سفة وطيش وحماقة يقدم إلى الأمور ويندفع إليه اندفاعًا جنونيًّا شيطانيًّا فيقع في الواقعة ثم بعد ذلك يندم ويقول: يا ليتني ما عملت، يا ليتني ما سويت.

وأعظم علاج لهذا هو عدم الغضب وأن يملك الشخص نفسه عند الغضب، ولهذا جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، دلني على ما ينجيني من غضب الله، أو قال: يدخلني الجنة. فقال: «لا تغضب»[١].

وجاء آخر فقال: يا رسول الله، علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر عليّ فأنسى. قال: «لا تغضب»[٢].

تريد أن تعيش بسلام وأمن واستقرار نفسي وحياتي وديني ودنيوي وأخروي.

---

[١] رواه الدارقطني، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٢] عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاب «الجامع» ما جاء في الغضب، «شرح الزرقاني على موطأ مالك» (٤/١٦-٢٤). وجاء الحديث -أيضًا- عند أبي يعلى من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وجاء -أيضًا- عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أدّب نفسك بآداب الشريعة وقف بها عند حدود الشريعة، وإلا زاد الشر وعظمت الفتن وهاجت في أوساطنا، والله المستعان.

فإذا كان كذلك صار أمره إلى الرشاد وإلى السداد، بل آل أمره إلى ما فيه الخير والصلاح، بحمد الله رب العالمين.

السبب الحادي عشر: الإحسان إلى خلق اللّه وإلى عباد اللّه جميعًا:

الإحسان إلى المسلم والكافر والغني والفقير والصغير والكبير والذكر والأنثى، بل حتى تحسن إلى الحيوان، جاء من حديث شَدَّادٍ رضي الله عنه قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اثْنَتَيْنِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، لِيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[1].

والإحسان يكون بالكلمة الطيبة وبالبسمة المشرقة والوجه الطليق، ويكون بالفكرة الرائعة والعبارة الجميلة، وهكذا يكون في أكله أو شربه أو تقديم هدية أو كساء وما إلى ذلك...، فإنك إذا أحسنت إليهم أحسن الله إليك، قال الله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ الرحمن: ٦٠ تُحسن إليهم حتى بالعفو والصفح عنهم إنهم أساءوا إليك، فإن الله يحب من عبده ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣﴾ المائدة: ١٣ والإحسان هو أعلى درجة يرتقي بها العبد عند الله؛ لأن الناس مراتب ثلاثة: مسلمون مؤمنون ومحسنون، والإحسان هو أعلا هذه المراتب، ولهذا يحب الله العبد إذا كان محسنًا كريمًا، جاء من حديث عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ

---

[1] رواه مسلم (١٩٥٥).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»(١).

وإذا أحب الله العبد نال منه كل خير، ويحفظه من كل سوء وينصره من كل عدو، ويفتح عليه أبواب الخير، ويغلق عليه أبواب الشر، فإذا رأى العبدُ يعفو ويصفح ويكرم ويُحسن إلى العباد، زاده الله من فضله إكرامًا وزاده إنعامًا وزاده برًا ومرحمة وإحسان، في أحوج ما يكون إليه العبد إلى الإكرام والإنعام في ذلك اليوم العظيم.

ومن نعم الله على العبد أن يُيَسرـ له بعض الفقراء حتى يحسن إليهم، فيحسن إليه، ولهذا كان الحسن البصري: يقول: مخاطبًا التجار والوجهاء من الناس: «اعلموا أن نعمة الله عليكم حاجة الناس إليكم»، فمن نعمة الله على العبد أن ييسر له بابًا من أبواب الخير ينفذ من خلاله، تعطي الفقير ريالًا فيعطيه الله عشرة ريالات إلى مئة ريال، والله يضاعف لمن يشاء، فاحمد الله.

يا عبد الله، البعض من الناس محروم من هذا الخير ما يأتيه الفقراء وما يأتيه المساكين وما يعرض عليه مثل هذا الخير، وإنما يعرض عليه الشر عياذًا بالله، بل ربما أن الله يحرمه، فيبقى ماله مكنوزًا عنده حتى يؤل إلى غيره.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٤٢) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعبد الرازق في «مصنفه»(٢٠٢٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» عن طلحة بن كريز الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحاكم في «مستدركه» (١ / ٤٨)، (١ / ٤٨)، ورواه الحاكم (٤٨/١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠ / ١٩١) والطبراني في «الكبير» (١٨١/٦) وفي «الأوسط» (٣ / ٢١٠) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال رجل لعبد الله بن المبارك: «إن فلانًا توفي وترك مئة ألف دينار، قال عبد الله: لكن هي ما تركته».

وقال محمد بن كعب القرظي: «يصاب الإنسان بمصيبتين عند موته لم يصبهما غيره، يترك ماله كله، ويحاسب على ماله كله!».

فما قيمة هذه الأموال التي تكون نقمة عليكم، وثمرتها لغيركم، فانتبهوا يا عباد الله قال بعض الحكماء: «المال كالسماد إن أبقيته في المخزن، بقي سمادًا وإن أنثرته أثمر وأزرع وأينع» فالمال كالسماد الذي يوضع للثمر فإن أبقاه صاحبه بقى سمادًا ممتنًا ينتنه برائحته، وإذا أنشره في الأرض أثمر وتكاثر بإذن الله رب العالمين، وهذا الكلام ليس لأرباب الأموال فحسب، بل إلى من يملك عشرة ريالات أو مئة ريال، يستطيع من خلالها أن يحسن بها، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول كما جاء من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[1]، ويقول عليه الصلاة والسلام كما جاء من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَقُولَانِ فَيَقُولُ: «أَحَدُهُمَا اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا» وَيَقُولُ الْآخِرُ: «اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[2]. وخُلف الله أوسع مما تتصور، يخلف الله عليك بالصحة وبالعافية في بدنك وفي أهلك وفي مالك، يخلف الله عليك بالزوجة

---

[1] رواه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).

[2] رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

الصالحة وبالذرية الطيبة، يدفع عنك السوء ربما كان نـازلاً بـك، فخلـف الله واسع كبير، فما أسعدك يوم أن تحظى بمثل هذا الخير والدعاء من الملائكة.

السبب الثاني عشر: طهارة القلب من الحسد والغل والشحناء والبغضاء

فإنه لا يجتمع في قلب مسلم حسد وسعادة؛ لأن صفاء القلب من السعادة، كما أن الحسد من الشقاوة، فهما شيئان متضادان لا يجتمعان؛ وذلك لأن الحسد إذا دخل القلب وتشعب فيه قَلَبَ السعادة إلى شقاوة، فالحسود يفرح إذا رأى من يحسده قد فشل في حياته أو أصابه المرض أو الفقر إلى غير ذلك، لكن ما أسرع ما ينقلب ذلك الفرح إلى حزن وتعاسة وشقاوة، ولهذا قال بعض الحكماء: «للحسود ألفُ عين، يَحْسَدُ بها، لكن في كل عين جمرة تحرقه بسبب حسده». وهذه عقوبة من الله؛ لأنه لم يرضى بما قسم الله، فالحاسد كأنه يقول: إن هذا المحسود لا يستحق الرزق ولا النجاح ولا الولد والراحة، وإنما يستحق هو، عياذًا بالله، والله يقول: ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ البقرة: ١٤٠

فالله هو الحكيم العليم بعباده، يقسم ويعطي عباده على حسب علمه وحكمته ﷻ، ولهذا أقول لمن ابتلي بالحسد، إن كان هذا الذي تحسده من أصحاب الجنة، فما هذا الذي أعطاه الله في الدينا بجانب ما هو مدخر له بشيء، فكيف تحسده على هذا المتاع، الذي لا يساوي ما أعد الله له من متاع الأخرة شيء؟ وإن كان من تحسده من أصحاب النار، فكيف تحسده على متاع

سيزول عنه عما قريب وينتقل إلى عذاب ينسى ما كان فيه مـن ذلك المتـاع؟ فاترك الحسد تنعم بحياتك وبعد مماتك، وأقول أيضًا: ادعوا الله ﷻ واطرق بابه واسأله من فضله أن يعطيك، فإنه على عطائك قادر، واعلم أن الله قد يحرمـك من شيء في الدينا ليعوضـك بهـا في الآخـرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَٰخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ النساء: ٧٧

فلو عقل الناس هذه الآية، وفهموها وتيقنوا بحقارة الدنيا وسرعـة زوالهـا وأن المتاع الحقيقي هو في الآخرة، لما حصل فيهم التحاسد، وإلى الله المشتكى.

السبب الثالث عشر: حسن الظن بالله

الذي عنده الكرم والجود والرحمة والمغفرة، ما لا يصلح معه إلا حسن الظن به، فَظن بالله خيرًا يعطيك خيرًا، أما البشر ربما تحسن الظن به فيخيب ظنك أما الله إن صدقتَ معه وأحسنت الظن به ووثقت تمام الثقة؛ بأنه سيعطيك، سيشافيك سيرحمك فإن الله سيكون معك، كما قال عليه الصلاة والسلام: عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «قال تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، فليفعل بي ما شاء»[1].

فظن بالله خيرًا يعطيك خيرًا، إلا ما قدره الله بحكمته وعلمه، والله المستعان.

---

(١) رواه أحمد وابن حبان والحاكم.

السبب الرابع عشر: الاقتراب من الله والأنس بالله

الإنسان إذا خِفت منه ابتعدت وهربت وفزعت وذهلت، لكن الله إذا خفت منه اقتربت منه وشعرت بالأنس والراحة والسكينة والطمأنينة.

قال ابن القيم: «إن في القلب شعث لا يزيله إلا الإقبال على الله وإن في القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله وإن في القلب قلق لا يسكنه إلا ذكر الله وإن في القلب فاقة –أي فقر- لا يسده إلا حب الله والتوكل عليه والإنابة إليه»[١].

انظروا كيف من أسباب السعادة الإقبال على الله والإقبال على الله يكون بطاعته وذكره وشكره وحسن عبادته، جاء من حديث في الحديث القدسي:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ جَاءَنِي يَمْشِي جِئْتُهُ هَرْوَلَةً»[٢].

وعَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: لَا يَنْجُو مِنِّي عَبْدِي إِلَّا بِأَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَبْرَحُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ

---

[١] «مدارج السالكين» (١٥٦/٣).
[٢] رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ النَّصِيحَةِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كُنْتُ قَلْبَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، أَجَبْتُهُ إِذَا دَعَانِي، وَأَعْطَيْتُهُ إِذَا سَأَلَنِي، وَأَغْفِرُ لَهُ إِذَا اسْتَغْفَرَنِي»[١].

انظروا ما أعظمه من حفظ ورعاية وعناية وإحاطة من الله، يحيط الله بها العبد يحفظ الله له سمعه وبصره ويده ورجله، فيحفظ الله له سمعه من الصمم، وبصره من العمى، ويده من أن تبطش في الحرام، ورجله من أن تمشي إلى الحرام، هذا إكرام الله وإنعامه وفضله لمن أقبل إليه وأناب إليه سبحانه وتعالى.

فيا من تريد أن تكون ممن يقبل على الله ويأنس به ويقترب منه وينال مثل هذا العطاء الإلهي الرباني، تذكر نعمة الله عليك ورحمته ولطفه بك حيث قال سبحانه في كتابه الكريم ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأعراف: ١٥٦

فرحمة الله قريبة ورحمته واسعة، فهو أرحم بك من نفسك، وأرحم بك من أبيك وأمك، بل وأرحم بك من الناس أجمعين، وهو الذي يبدل السيئات إلى حسنات، تتذكر ذلك فيزداد قربك من الله عز وجل

---

[١] رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٣٢). وهو في كتاب «الأحاديث التي استنكرها العراقي على الغزالي» (ص/٨).

السبب الخامس عشر: أن نتذكر ان اللّه على كل شيء قدير

أي أنه لا يعجزه شيء، فهو القادر على أن يغنيك بعد فقرك وعلى أن يعافيك بعد مرضك وعلى أن يفرج عنك كربك، ويرفع قدرك ومنزلتك، فهو القدير على أن يسعدك فإذا كنتَ كذلك هنا يسعد قلبك، ويذهب اليأس من قلبك.

إذا قال لك الأطباء: لا علاج لك عندنا، تقول نعم ليس لي علاج عندكم، لكن عندي علاج عند الذي يقول للشيء كن فيكون، فهو الذي عنده علاج مرضك، وهو الذي عنده معافاة لبلائك وعنده إعانة لمعاناتك، وغناء لفقرك وجمع لشتاتك وتيسير لعسرك، فإذا كنت كذلك سعدت بحمد الله رب العالمين.

بعض الناس إذا نزل به مرض تجده أول ما يفكر من هو الطبيب الفلاني؟ وما هو أفضل مستشفى؟ وما هو أحسن علاج؟ فتراه ينتقل مـ ن مستشفى إلى آخر ومن عيادة إلى أخرى، حتى إذا أيس بدأ يفكر في العودة إلى ربه وفي الإقبال على العلاج النبوي، ومع هذا التأخر لا يزال يقولُ في نفسه: نجرب لعليَّ أن أجد في هذا علاج ودواء، لا يوجد عنده ثقة بربه ولا قوة توكل عليه ولا إيمان كامل بأن الله على كل شيء قدير، ويريد أن يسعد بالعافية والشفاء فأنى لهذا أن ينال مطلوبة ومرغوبة وهو على هذا الضعف في يقينه بربه، ألا فليكن المرء على يقين كامل بأن الله قادر على كل شيء وسينال بإذن الله ما

تمناه من ربه ﷻ.

قال الله في كتابه الكريم عن نبيه إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]. فهو المعافي مرضاهم المجبر كسيرهم الهادي ضالهم وحياراهم والمصلح أحوالهم وأمورهم وشئونهم سبحانه وتعالى.

السبب السادس عشر: العفو عن الناس والصفح عن الاخرين

اعلم أخي وفقني الله وإياك إلى ما يحب ويرضاه أن حال المؤمن دائمًا هو العفو والصفح عن الآخرين، بل إن الصفح عن الآخرين هو أول خطوة للصفح عن أنفسنا أولًا، وذلك لما فيه من سلامة القلوب ونقاوتها من الغل والحقد والانشغال بأمر الانتقام أو المجازاة، فإذا عفا الشخص فإنه يكون قد وضع عن نقسه حملًا وثقلًا وهمًا وغير ذلك مما يحصل بسببه من انشغال الفكر والعقل والقلب الذي قد يؤدي بصاحبه إلى القلق والهم والغم والضيق وغير ذلك، حتى قال أحد الحكماء: «القرار بعدم التسامح قرار بالمعاناة». بمعنى أنك إذا قابلت الإساءة بالإساءة ستنتهي ومتى سيذهب عنك هذا العناء خصوصًا إذا زادت الإساءة في الرد عن حدها، فإن الشخص يبقى في خوف وقلق وارتباك ينتظر متى يرد عليه من قابله بالإساءة بمثلها أو أعظم مرة ثالثة، لكن إن هو غض الطرف عن هذا استراح من هذا كله، وذهب عنه هذا العناء وزال عنه كل هذه التفكيرات والقلق والرعب الذي ربما كان قد يجده طوال حياته حتى قيل إنك بعفوك تصلح مستقبلك.

ألا ترضى أن تكون ممن ينادى بك في ذلك اليوم الشديد حره فيكرم بهذا الفضل وينعم عليه بهذا الإنعام، فأي عز وأي سعادة وراحة أعظم من هذا، حيث قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من عفا عند قدرة، عفا الله عنه

يوم العسرة»[١]. فعند أن يأخذ الشخص بالعفو والصفح والتسامح إنه بذلك يكون قد تسبب في عفو الله عنه وغفرانه له وتجاوزه عن زلاته وأخطائه قال الحسن بن علي (الكلمة التي تؤذيك طأطئ لها رأسك فإنها تتعداك) فعندما تسامح من أساء إليك فأنت لا تغير الماضي بل تغير المستقبل.

.

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٨/٨) عن أبي أمامة.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٩٠/٨): «فيه العلاء بن كثير، وهو ضعيف». لكنه صالح للاستشهاد.

السبب السابع عشر: ذكر الله

اعلم رحمك الله أن ذكر الله هو علم الإيمان وبراءة من النفاق وحرز من النار وحصن حصين من الشيطان، بالله عليك قل لي: كلم نجد من أناس يعانون من الأمراض النفسية، والهلوسة والجنون والضيق والقلق والكآبة ممن تسلط عليهم الشيطان، فسار يؤذيهم ويجلب عليهم الهموم والغموم والتكفير اللاإرادي والاكتئاب، حتى يصل ببعضهم إلى حالة الخنق والموت لما يحصل من حرج وضيق في صدره وقلبه.

كل ذلك بسبب الغفلة والإعراض عن ذكر الله عز وجل، فذكر الله هو الحصن الحصين هو الكهف المنيع الذي من التجاء إليه نجا من هذا كله، ولهذا تجد المنتحرين في بلاد الكفر، والذين يجدونهم ما بين قتلى وصرعى في الأسواق وفي البيوت وفي السواحل والطرقات، بسبب تسلط الجانِّ عليهم الذين يؤذونهم وتشتد أذيتهم بهم حتى يصل بعضهم إلى حد الموت، وهم لا يعلمون، ولهذا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبأنا بذلك، وقال: «أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء اللَّه وقدره بالعين»[١] . وهل العين إلا من الجانِّ؟!

فذكر الله يجلي الإيمان ويحفظ الإنسان ويؤنسه، ولهذا قال الله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]. والمعنى كما ذكره المفسرون اذكروني بطاعتكم إياي فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه أذكركم برحمتي إياكم

---

[١] رواه الطيالسي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وحسنه الألباني.

ومغفرتي لكم، اذكروني بتوحيدي أذكركم برحمتي ومغفرتي والثناء عليكم، اذكروني في الرخاء أذكركم عند البلاء، اذكروني في الضيق أذكركم في المخرج، اذكروني بالشكر أذكركم بالنعمة، اذكروني بنعمي أو بمحامدي أعاملكم معاملة من ليس بمغفول عنه بزيادة النعم والنصر والعناية في الدنيا والثواب ورفع الدرجات في الآخرة.

ولهذا قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم»[١].

وإذا ذكر العبد ربه أرسل إليه ملائكة تحفظه وتحفظ ذريته وأهله وماله، بل تحفظه من أن يقع في الشبهات المضلة والشهوات المردية فيحفظ له دينه ودنياه فيصبح سعيدًا بحمد الله رب العالمين.

فذكر الله يطرد الشيطان ويقمعه ويضعفه دل على ذلك الحديث الطويل «ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاء ذكر اللَّه عزّ وجلّ، فطرد الشياطين عنه»[٢].

فقوام السعادة ومدارها تكمن في ذكر الله عز وجل، بل إنك بذكر الله

---

[١] رواه البخاري (٧٤٠٥) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
[٢] «مجمع الزوائد» (١٧٩/٧).

إنك ترضي الرحمن الذي إن رضي عنك أعطاك مطلوبك ومرغوبك ومحبوبك ونِلت كل خير بحمد الله رب العالمين.

وبذكر الله يُزال عنك الهم والغم والكرب والحزن، بل تزال الوحشة التي بين العبد وربه ويحل محلها القرب والأنس به سبحانه، فذكر الله سبب عظيم من أسباب نزول السكينة وحفوان الملائكة وغشيان الرحمة كما جاء من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[١] .

جعلني الله وإياكم من الذاكرين الله كثيرًا الذين يسعدون وينعمون بذكره.

إلا وإن أعظم الذكر وأجله وأفضله الذي يجلب لصاحبه الخير في الدنيا والآخرة كثرة الاستغفار وكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فلو علم العبد ما فيهما من خير ونفع لما فتر عنهما لحظة واحدة.

أما الاستغفار فقد قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١١].

فيا من تشكوا من حرمان الأولاد ويا من تشكوا من ضيق العيش في الرزق ويا من تشكوا من سوء حالك أيًّا كان، عليك بالاستغفار الزم الاستغفار

---

[١] رواه مسلم (٢٧٠٠).

أضمن لك الفرج والمخرج وزيادة على ذلك حتى ترضى.

ومن الذكر الذي يعطى به العبد مناله ويذهب عنه مساوئُه كثرة الصلاة على النبي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ولهذا جاء عن أُبيّ بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت» قال: قلت: الربع، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك» قلت: النصف، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك» قال: قلت: فالثلثين، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: «إذًا تكفى همك ويغفر لك ذنبك»[1].

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١٣].

أعمارنا تمر أطوارًا طورًا بعد طور، ونحن لا زلنا في غفلة، وفي جهالة عما يراد بنا، وعما أراد الله منا، الله يبتلينا بلاء بعد بلاء علنا نتوب ونستغفر ونرجع، فيفرج عنا ما نحن فيه.

جاء رجل إلى الحسن البصري، فقال له: إني تاجرت فخسرت،

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٦١).

قال :عليك بالاستغفار !ثم جاءه آخر، فقال له: إني عقيم لا يولد لي، فقال له :عليك بالاستغفار !ثم جاءه ثالث، فقال: إن بلادنا قد وقف عنها المطر وقحطت وأجدبت الأرض، قال: عليكم بالاستغفار! فقال له رجل: يا أبا سعيد: شكوا إليك أمراضاً شتى، وذكرت لهم دواءً واحداً! قال: إن الله تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح:١٠-١١].

فيا من أُصبت بالهموم والغموم لا تشكونّ إلى أحد، بل عليك بالاستغفار، يا من ضاق بك العيش، لا تشكونّ إلى أحد، بل عليك بالاستغفار، يا من انتابك أمر، لا تشكونّ حاجتك إلى أحد، بل عليك بالاستغفار، وستجد أثر ذلك في حياتك بالمائة مائة.

وقيل لبعض السلف: غلت الأسعار، قال: أخفضوها بالاستغفار(١) .

فالاستغفار أمان لأهل الأرض، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «كان فيهم أمانان :نبيُّ الله والاستغفارُ»، قال: «فذهب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبقي الاستغفار»(٢) .

فكم يسرف الشخص على نفسه بالكلام الكثير الذي إن لم يضره فلن ينفعه،

---

(١) أسباب غلاء الأسعار وقلة البركة من منظور الشرع (ص/٥) لمراد سلامة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٠٠٠)، والبيهقي في «السنن» ٤٦/٥.

أسباب السعادة:

ويدع الاستغفار الذي هو سبب عظيم لتفريج الكربات وتيسير الأمور وبسط النعم ودفع النقم.

السبب الثامن عشر: الحياة الزوجية

من المعلوم أن الإنسان عند أن يخرج من بيته متوجهًا إلى أعماله الدنيوية أو الدينية -أيضًا- لا بد وأن يكابد في هذه الحياة وذلك لما يجد أمامه من زملاءه في الدراسة أو العمل أو غير ذلك مما يعكر مزاجه ويخالف رأيه ويكدر عليه صفو حياته، لكن إذا هو عاد إلى البيت، فإنه يأمل بأن يرتاح وأن يأخذ قصدًا من السكينة والطمأنينة والهدوء وعدم الانزعاج، ولكن هذا يحتاج إلى معرفة أمور منها:

الأمر الأول: اعلم أنك في هذه الحياة في مكان ابتلاء وامتحان واختبار يمحصك الله حتى يرى ويعلم ويظهر حالك وكيف أنت أمام هذا الابتلاء، فأنت بحاجة إلى أن توطن نفسك على الصبر لما تجده أمامك من أنواع المزعجات والمنغصات، فإن الله يقول: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، ويقول: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]، ويقول: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]. فإذا علمت أنك مبتلى بقريبك سواء كان أبوك أو أخوك أو زوجك أو ولدك، هان عليك كل شيء وسار حالك أنك تنظر إلى الدنيا، كما يقال: إنها جيفة من أولها إلى آخرها لا تستحق تنهيدة واحدة ولا حسرة ولا غلبة ولا ندامة أبدًا، خصوصًا إذا احتسبت الأجر، لكن من لم يستشعر ذلك وجد عكس ذلك تمامًا.

الأمر الثاني: اعلم أن الحياة الزوجية لن تصلح إلا بصلاحك واستقامتك، فإذا كان الرجل صالحًا تقيًّا ورعًا صلحت حياتـه وإذا كان فاسـدًا فسـدت مـن أولها إلى آخرها، قال الفضيل بن عيـاض: «إني لأعصيـ الله، فـأعرف ذلـك في خلق حماري وخادمي»[١].

فإذا وجد رب البيت خلقًا سيئًا ومعاملـة رديئـة في أهـل بيتـه، فـأقول له فتش عن نفسك، وراجع أخطاءك، وانظر إلى عيوبك، وأصلح ما بينـك وبـين الله حتى يصلح الله ما بينك وبين عباده.

الأمر الثالث: مما يعين على السعاد الزوجية وهو الأمر الأهم والأعم السعي والبذل في تحقيق السعادة الزوجية من قبل الطرفين، ولـن يكـون ذلـك ولـن يتحقق على الوجه المطلوب إلا باتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، هديـه، وأخلاقه، وشمائله، وتواضعه مع أهله -صلى الله عليه وسلم- فقـد كان النـبي صلى الله عليه وسلم خير زوج لزوجة، فقد قال النـبي صـلى الله عليـه وسـلم لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا في الحديث الطويل: «كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ»[٢].

وعنها -أيضًا- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم خـيركم لأهلـه

---

[١] «حلية الأولياء» (٨/١٠٩).

[٢] رواه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).

وأنا خيركم لأهلي»[١].

فقوله: «خيركم خيركم لأهله» أي: لعياله وذوي رحمه، وقيل: لأزوجه وأقاربه، وذلك لدلالة على حسن الخلق[٢]. ومن كان هذا خلقه فهو خير الناس، فيسعهم بحلمه وأخلاقه وعلمه، يصبر عليهم، يتحمل أذاهم، يعفو عنهم، كونه أبًا مربيًا عاقلًا كبيرًا، بهذا يكون مفتاح خير مغلاق شر، إذا هو أحسن التصرف وأحسن العشرة.

وكان من هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل بيته كما وصفته عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كان النبي إذا دخل البيت لا يدخل من عرض البيت يتخون أهله. أي: كان لا يدخل في قلبه بعض الشكوك والظنون التي سارت اليوم بسببها نشبت الخلافات بين الزوجين وأغلبها أوهام وشكوك وظنون لا أساس لها من الصحة التي ربما لو تحقق منها لوجد في نهاية الأمر أنها مجرد لعبة من لعب الشيطان لا حق فيها، فقد كان النبي يتفقد المشاعر والأحاسيس، فلا يجرح بكلامه أحدًا ولا يسب ولا يشتم ولا يضرب، قال أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، والله ما قال لي أفًّا قط ، ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟»[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاما

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٩٩) والترمذي (٣٨٩٥). وصححه الألباني.
(٢) «تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي» (٤/٣٦٧).
(٣) رواه مسلم (٢٣٠٩).

قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه»[١].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم متواضعًا في بيته، فقد سُئلت عائشة: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله ، تعني خدمة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة[٢].

وفي رواية: «كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم»[٣].

هكذا كان صلى الله عليه وسلم يعمل بقول الله عز وجل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وإنك لتعجب من بعض الناس إذا جلس مع الناس تهلل وجهه وتبسم وانبسط وتحبب إليهم، وإذا أحدٌ أساء إليه وسعه بحلمه وصبر عليه، لكن إذا دخل بيته كشر عن أنيابه وتغير وجهه واخضر واصفر، فإذا وجد من أحد من أهل بيته غلطة أقام الدنيا ولم يقعدها، وأطبق السماء على الأرض، وآذى وأساء، هذا الصنف قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيه: «لا تضربوا إماء الله» فجاء

---

(١) رواه البخاري (٣٥٦٣)، ومسلم (٢٠٦٤).
(٢) رواه البخاري (٦٧٦).
(٣) رواه ابن حبان (٥٦٧٧) وصححه الألباني.

عمر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ذَئِرَن [١] النساء على أزواجهن فرخص في ضربهن فطاف بآل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نساء كثير يشكون أزواجهن فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم»[٢].

فأقول لهذا: إذا لم نكن طيبين بأخلاقنا وشمائلنا لآبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا وأبنائها وبناتنا وزوجاتنا، فلمن نكون؟! وإذا لم تكن بيوتنا مبنية على الألفة والمودة والمحبة، فأين قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوا به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[٣].

فكم صنع أهل بيتك لك من معروف منذ القدم! فأين مكافأة ذلك المعروف منك، ولو حتى بعدم رد الإساءة بالإساءة إذا حصلت؟ فكريم الأصل هو من طابت شمائله.

ومن الحكم المعروفة عند الناس: الرجل الكريم لا تطيب شمائله إلا إذا تواضع.

فالله كريم يحب الكرماء، ومن كرمك على أهلك وعلى الناس أن يكون

---

[١] ذئرن، أي: نَشَزْنَ عليهم وَاجْتَرَأْنَ.

[٢] رواه أبو داود (٢١٤٦) عن إياس بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٣] رواه أحمد (٣ / ١١٧١)، وأبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٥١٤/١) وغيرهم، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني.

لك الفضل عليهم في أن تغفر زلاتهم وتتجاوز عن مسيئهم، وتحبهم ولا تبغضهم، وتكرمهم ولا تهينهم، وتتفاهم معهم ولا تعنفهم.

فالسعادة الزوجية تحتاج إلى تضحية وإلى تفهم وتعقل وإدراك، قال الإمام أحمد: «عشت مع زوجتي ستون سنة، ما اختلفت معها في شيء، كانت إذا غضبتْ سكتُ، وإذا غضبتُ سكتتْ».

فبالتفاهم يحصل الخير والبركة في البيت والأزواج والأولاد، حتى وإن حصل منها شيء مخالفًا، فكونك عاقلًا بصيرًا تتعامل بحكمة وصبر وتحمل حتى تتكامل الحياة، وتصفو وتسعد وتنعم.

وقبل أن أنتهي أذكر إخواني بالدعاء بالإصلاح وإتمام النعمة والخير، فإن الدعاء له أثر عظيم في إصلاح الحياة الزوجية، وفي إصلاح البيوت، وحلول البركة والخير، والهدوء والسكينة، الدعاء قبل الزواج وبعد الزواج، والاستعانة عليه بالعمل الصالح، فإن الله يقول عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. فبالإخلاص والصدق مع الله تعمر البيوت بالخير والبر والإحسان، ولهذا كان سعيد بن المسيب إذا رأى ابنه قال: «أي بني، لأزيدن صلواتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك»(١). ويتلو هذه الآية ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره».

أي: رجاء أن يحفظك الله.

قال الشاعر:

رأيت صلاح المراء يصلح أهله   ويُعديهم داء الفساد إذا افسدوا

يُعَّظمُ في الدنيا بقدر صلاحــــــه   ويُحفظ بعد الموت في الأهل والولد

وما قصة الغلامين اليتيمين التي ذكرها الله في سورة الكهف عنـا ببعيـد، حيث حفظ الله لهما كنزهما بعد وفاة أبيهمـا حـتى كـبرا، إلا بسـبب صـلاح أبيهما، فالبيوت إنما تعمر بالخير والإصلاح، باستقامة الأبـوين وعـدم شـماتة أحدهما بالآخر، خصوصًا أمام أبنائهم، كأن يهين الرجل زوجته أمـام أبنـائهم، أو تهينه زوجته أمام أبنائهم، فهذا له أثـره في خـراب البيـوت وهـدمها وعـدم إصلاحها، فالمريد للسعادة والطالب لها عليه أن يأتي الأمور من أبوابهـا حـتى يسعد وينعم حياته وبعد مماته، والله المستعان، والهادي والموفق لكل رشد وخـير وسداد وصواب.

السبب التاسع عشر: محاسبة النفس

إن من علامات الشقاء ترك محاسبة النفس، واتباع الهوى.

فيحاسب العبد نفسه على تقصيره في حق الله وفي حقوق عباد الله، فإذا رأى أنه قد فوّت واجبًا تداركه بالخير والإصلاح والذكر والإقبال عليه، وإذا رأى أنه قد ارتكب شيئًا من المخالفات تداركه بالتوبة والاستغفار، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا»[١] .

وطوبى: هي العاقبة الحسنة لمن تاب وأناب واستغفر.

ولا يمكنه ذلك إلا بتذكر هاذم اللذات، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات، فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا في سعة إلا ضيقه عليه»[٢]. فمن أكثر من ذكر الموت؛ قلّ حزنه وهان عليه أمره وصغرت الدنيا في عينيه.

وكذلك أن يحاسب نفسه من إخوانه، فإذا رأى أنه قد تعدى في حقهم أقبل إليهم واعتذر وتأسف حتى يذهب ما في القلوب من حظوظ الشيطان، وإن رأى أنهم قد قصروا في حقه فليأخذ ذلك بالحكمة.

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨١٨) عن عبد الله بن بسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه أحمد (٢ / ١٦٦١) والنسائي (١ / ٣٨١) والترمذي (٢٣٠٧) وابن ماجه (٤٢٥٨) وغيرهم، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال جعفر بن محمد: «إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره، فالتمس له عذرًا واحدا إلى سبعين عذرًا، فإن أصبته، وإلا قل لعل له عذرًا لا أعرفه»[١].

وقال بعض الحكماء: «احتمل أخاك بما فيه».

بمعنى أنه لا يوجد أحد معصوم؛ فالكل محل التقصير والتفريط والإهمال، لكن بالتجاوز والتغاضي يحصل الخير الكثير بإذن الله.

وقال الأصمعي: قال أعرابي: «تناس مساوئ الإخوان يدم لك ودهم»[٢].

فالمودة والمحبة وسلامة القلوب إنما تكون بالمؤاثرة للإخوان وكسر النفس وتصفيتها من خلجاتها وكبريائها، فلا يجعل الشخص نفسه بأنه ذاك الكبير ولا أحد يستطيع أن يصل إليه، فهذا مما يجعل الشخص دائمًا في عُجبٍ وغرور، فيتسبب في بغض الناس له وعدم محبته واحترامه.

فالتواضع خير مطلوب في إصلاح النفس وسلامتها وسعادتها وتحقق الخير لها دنيا وأخرى، بحمد الله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٣٢٣/٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٤/١٣).

السبب العشرون: سعة الصدر وسلامة القلب من الأحقاد والضغائن وحبِّ الانتقام وغير ذلك مما يفسد على القلوب راحتها:

فاعلم رحمك الله أن السعادة محلها القلب الذي هو محل نظر الله للعبد، فإذا نوى العبد خيرًا أعطاه الله خيرًا وبادره به ويسر له أسبابه، وإذا نوى شرًا رزق شرًا وضيق عليه وعسر عليه أمره.

فأعمال القلوب إذا كانت سيئة فإنها تضر بأصحابها قبل أن تضر بالآخرين، فعن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار. ويعمل بعمل أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»[١].

قال ابن رجب: «في قوله: «فيما يبدو للناس» إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره،

---

[١] رواه البخاري (٤٢٠٧) ومسلم (١١٢).

فتوجب له حسن الخاتمة»[١].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[٢].

قال ابن رجب: «فيه إشارة إلى: أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات واتقائه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه. فإن كان قلبه سليمًا، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات. وإن كان القلب فاسدا، قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه، ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب»[٣].

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لأصحابه: «**لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا؛ فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»[٤].

فالمسلم مطالب أن يجعل قلبه وعاءً للخير ومأوى له، مليئًا بحب الخير

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص/١٨٠) تحقيق الفحل.
(٢) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).
(٣) «تفسير ابن رجب» (٢/٥٣).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٦٠)، عن عبد الله بن مسعود.
في إسناده الوليد بن أبي هشام قال أبو حاتم الرازي ليس بالمشهور.

للناس، مهما كان لا أن يجعله مليئًا بالأحقاد والأضغان والحسد والبغضاء التي تؤدي إلى التنافر والتدابر.

قال ابن تيمية: «وأنا في سعة صدر لمن يخالفني فإنه وإن تعدى حدود الله في بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية. فأنا لا أتعدى حدود الله فيه. بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل وأجعله مؤتما بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكمًا فيما اختلفوا فيه»[١].

وقال -أيضًا-: «فلا أحبّ أن يُنتصر لي من أحد بسبب كذبه علي أو ظلمه وعدوانه فإني قد أحللت كل مسلم. وأنا أحب الخير لكل المسلمين وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي»[٢].

وقال ابن القيم: «مشهد السلامة وبرد القلب وهذا مشهد شريف جدًّا لمن عرفه، وذاق حلاوته. وهو ألا يشتغل قلبه وسره بما ناله من الأذى، وطلب الوصول إلى درك ثأره، وشفاء نفسه. بل يفرغ قلبه من ذلك. ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له. وألذّ وأطيب. وأعون على مصالحه. فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده، وخير له منه. فيكون بذلك مغبونا»[٣].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/٢٤٥).
(٢) المصدر السابق (٢٨/٥٥).
(٣) «مدارج السالكين» (٢/٣٠٤).

فإذا أحب المسلم أن يعيش برد اليقين فليتجاهل وليتغافل ما يجري له مما يكرهه، وليجعل الأمر طبيعيًّا وعاديًّا كأن لم يكن ولم يحصل، وليغلق باب التفكير من أول الأمر وألا يُكَبِّر الأمر ويعظمه في نفسه، وليشغل عقله وفكره باستماع الأشرطة النافعة وسماع المواعظ القيمة والمطالعة في كتب التفسير والقصص التي فيها العظة والعبرة؛ لأن من لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل ولا بد، وليأخذ المسلم بالعفو والصفح من الآخرين ليكون له الفضل عليهم؛ لأنه إن تعامل بهذا صار ذلك الشخص الذي قابل إساءته بالإحسان يحتقر نفسه أمامه وصار الشخص الذي عفا كبيرًا في عين خصمه، بل وفي أعين الناس، بل وتصير له المكانة عند رب العالمين بأن يعامله يوم القيامة بما عامل به خلقه، فالله أكرم من عباده إذا هم عفوا زادهم عفوًا وإكرامًا وبرًا ورحمة وإحسانًا بخلاف من تعامل بالانتقام فإنه يظل مشغولًا بخصمه ومتى سينتقم، فاحذر أن تطيع الشيطان في ذلك الذي يسعى بالإفساد فإنه في الحقيقة ليس أنت وليس صاحبك من يندفع إلى الشر، إنما الشيطان الذي يدفع كلًّا منكما فأطع الرحمن الذي أمرك بالصبر ولا تطع الشيطان الذي يدفعك إلى الشر.

السبب الحادي والعشرون: المرأة الصالحة والبيت الواسع والمركب الهنيء:

قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سعادة المرء: الجار الصالح، والمركب الهنيء، والمسكن الواسع»(١).

فإذا رزق العبد الزوجة الصالحة التي تعينه على الخير وتحثه عليه، وترغبه فيه، فاعلم أن الله قد أراد به خيرًا، فليحمد الله، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني»(٢).

وكذلك البيت الواسع والمركب الهنئ من سعادة المرء في الدنيا، بحيث إذا وسع الله على عبده في الدنيا صار متفرغًا لأمر الآخرة، وكم هنالك من المحرومين من هذه السعادة ممن وسع الله عليهم، ولكن بسبب طمعه وجشعه وشدته صار يعيش حياة البؤساء؛ لأنه لم يوسع على نفسه وعلى أهله، وهذا مذموم شرعًا؛ فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٦ / ٣٢٤٣)، (٦ / ٣٢٤٤) وعبد بن حميد في «مسنده» (١ / ١٤٩) والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٧ / ٢٠٧)، (/٢٠٨) والحاكم في "مستدركه" (٤ / ١٦٦) عن نافع بن عبد الحارث.

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٢ / ١٦١) والطبراني في "الأوسط" (١ / ٢٩٤)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣ / ١٤٠٨) والنسائي (١ / ٥١٣) والترمذي (٢٨١٩) وابن ماجه

والله جميل يحب الجمال[1]، وكريم يحب الكرماء[2]، ويريد لعباده أن يكونوا سعداء، وجعل لذلك أسبابًا، فمن عمل بأسباب السعادة نالها، من لم يعمل بأسبابها حُرم منها.

وقد ذكر بعض الكتاب قصة جيدة حيث قال: إن رجلًا كان غنيًّا ثريًّا ولكنه كان بخيلًا شحيحًا أراد السفر من بلدته إلى بدة أخرى، فأدركه المبيت في الطريق فاستضافه رجلٌ غني ثري، ولكنه كان جوادًا كريمًا فأكرمه ووسع عليه، فلما انتهى من حديثه معه سأله عن سبب تحصيله على هذا المال والثراء، فقال: تزوجت امرأة مات عنها زوجها فورثته عنها ثم واصل معه الحديث إلى أن قال: ولا زلت أسمع برجل في بلدة بني فلان انتظر متى يموت لأتزوج امرأته حتى أرثها وأرث المال الذي تركه من نصيبها، فصادف أنه هو الرجل المعني، ولكنه لم يخبره فقرر الرجل في نفسه بعد سماعه حديث هذا الرجل على أن لا يواصل في سفره وإنما يعود إلى بيته فلما جاء الصباح رجع إلى بيته ثم أخرج المال من خزانته ووزعه على أهل بيته وأكرمهم وزادهم وقام بإصلاح بيته وإنارته وتصدق بالمال يمنة ويسرة فاستغرب الأهل من صنيعه هذا وكيف

(٣٦٠٥) والحاكم في "مستدركه" (٤ / ١٣٥). من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(١) رواه مسلم (٩١) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٤٢) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعبد الرازق في «مصنفه»(٢٠٢٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» عن طلحة بن كريز الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحاكم في «مستدركه» (١ / ٤٨)، (١ / ٤٨)، ورواه الحاكم (٤٨/١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠ / ١٩١) والطبراني في «الكبير» (١٨١/٦) وفي «الأوسط» (٣ / ٢١٠) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تحول وتغير بهذا الشكل السريع فأخبرهم بقصته مع الرجل الذي بات عنده، ثم قال: لأن أعيش سعيدًا مع أهلي ومالي وأصلح بالمال دنياي وآخرتي خير من أن أتركه يعبث به غيري ويكون وزره وإثمه على كاهلي، فالمال الذي يتركه الرجل فحرم من سعادته فإن تركه لورثة صالحين سعد به غيره وإن تركه لأناس غير صالحين كان وبالاً عليه ويلحقه أثمه ووزره إلى قبره .

السبب الثاني والعشرون: ترك الذنوب والمعاصي

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: «إن للحسنة: ضياء في الوجه ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة: سوادًا في الوجه، وظلمة في القبر، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق»(١).

وقال ابن القيم: «لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا إقامة المروءة وصون العرض وحفظ الجاه وصيانة المال الذي جعله الله قواما لمصالح الدنيا والآخرة ومحبة الخلق وجوار القول بينهم وصلاح المعاش وراحة البدن وقوة القلب وطيب النفس ونعيم القلب وانشراح الصدر والأمن من مخاوف الفساق والفجار وقلة الهم والغم والحزن وعز النفس عن احتمال الذل وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار وتيسر الرزق عليه من حيث لا يحتسب وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصي وتسهيل الطاعات عليه وتيسير العلم والثناء الحسن في الناس وكثرة الدعاء له والحلاوة التي يكتسبها وجهه المهابة التي تلقى له في قلوب الناس وانتصارهم وحميتهم له إذا أوذي وظلم وذبهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب وسرعة إجابة دعائه وزوال الوحشة التي بينه وبين الله وقرب الملائكة منه وبعد شياطين الإنس والجن منه وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه وخطبتهم لمودته وصحبته وعدم خوفه من الموت بل يفرح به

---

(١) «الداء والدواء» (ص/١٣٥).

لقدومه على ربه ولقائه له ومصيره إليه وصغر الدنيا في قلبه وكبر الآخرة عنده وحرصه على الملك الكبير والفوز العظيم فيها وذوق حلاوة الطاعة ووجد حلاوة الإيمان»[١] فاحذر من مغبة المعاصي فإن نارها تحت الرماد زلت قدمك بها وحدد التوبة مع كل معصية ولا تؤخرها حتى لا يفوز عليك الشيطان في اللحظة الأخيرة فيختم لك بسوء فتكون من الهالكين عياذاً بالله .

وقال ابن المعتز[٢] :

خَلِّ الذُّنوبَ صَغيرها ... وكبيرها فهو التُّقَى
واصْنَعْ كمَاشٍ فَوقَ أرضِ ... الشَّوكِ يحذرُ ما يَرى
لا تحقرنَّ صَغيرةً ... إنَّ الجبالَ من الحَصَى

وقال عليه الصلاة وسلام (النظر سهم من سهام إبليس فمن تركها من مخافتي أبدلتها إيماناً يجد حلاوته في قلبه).

فعند أن تترك المعاصي من أجل الله، يعوضك الله بلذة الطاعة، وحلاوتها بديله عن لذة المعاصي تجد ذلك في قلبك حتى تلقى الله عزو جل وهذا من العون من الله أن يُحبب إليك الطاعة ويجعلك تستلذ بها ويُكره إليك المعصية ويجعلك تستقبحها وتنفر منها.

---

(١) «الفوائد» (ص/١٥٥-١٥٦).
(٢) «ديوان ابن المعتز» (ص/٢٩).

السبب الثالث والعشرون: تسلية المصاب

اعلم أخي الكريم وفقني الله وإياك لكل خير أن سنة الله جارية على الخلق أجمعين، في أن يبتليهم بالسراء والضراء وبالخير والشر، وبما يكرهون وبما يحبون، كل بحسبه، وبحسب المصلحة التي اقتضت حكمة الله أن يبتليه بها.

فمنهم من يبتليه بالنعم وذلك لما سبق في علم الله وحكمته، بأنه لا يُصلح إيمانه وحاله إلا بذلك، ومنهم من يبتليه بالنقم وذلك لما كان في علم الله بأن لا يُصلح قلبه وإيمانه إلا ذلك، جاء في صحيح الجامع من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ اللهَ لا يَقْضِي لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلا كَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

فالله لا يعطي لعبده شيء إلا كان خيرًا له، فالخير كل الخير للعبد فيما اختاره له ربه عز وجل، فإنه أخبر به وأعلم وأرحم به من أمه التي ولدته، فما للعبد إلا أن يرضى بحكم الله ويفوض الأمر إليه، ويكتفي بكفاية ربه وخالقه ومولاه.

ولكن العبد لضعفه وعجزه لا يدري ما وراء الغيب، فهو لا يرى إلا ظواهر الأمور أما الخوافي فعلمها عند ربي.

فكم من محنة وكم من بلية أصبحت عطية، فالخير كامن في المكروه.

---

(١) رواه أحمد (٥ / ٢٥٦٤)، (٥ / ٢٧٢٨).

فالله قد يبتلي الشخص بالمرض، لكي يعرف العبد مدى حاجته وفقره، إلى الله سبحانه وتعالى، فكمن شخص ما عرف الله إلا عند مرضه ولو بقي بدون ابتلاء بالمرض فربما بقي في غيه وإعراضه عن ربه، حتى يدركه الموت، هو لا يزال مستمرًا في انحرافه، وإعراضه عن دين الله وشرعه فيكون مآله إلى النار عياذًا بالله من سوء الخاتمة.

فالله رحيم بعباده قال الله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٦ ولطيف بعباده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ الشورى: ١٩ لم يقدر لهم المقادير ولم يُنزل بهم النوازل إلا من أجل مصالحهم الدينية والدنيوية، ولكن الناس لا يعلمون ذلك ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ البقرة: ٢١٦

فينبغي على الشخص ينظر إلى مصيبة غيره الأشد بلاء حتى تهون عليه مصيبته.

وأسوق لكم هذا الحديث العظيم الذي رواه الإمام مسلم[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث جَابِرُ بْنُ عَبدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيه وسَلمَ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ المُسَيَّبِ وَهِيَ تُزَفْزِفُ، فَقَالَ: مَالَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ، أَوْ يَا أُمَّ المُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟ قَالَتِ: الحُمَّى لاَ بَارِكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: لاَ تَسُبِّي الحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ»

وأي شيء أنفع للعبد من مغفرة الذنوب ومن تكفير السيئات ومحو الخطيئات ورفع الدرجات، بل جاء عند الإمام أحمد بسندٍ صحيح أن النبي ﷺ قال: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حمى يوم كفارة سنة، وحمى يومين كفارة سنتين، وحمى ثلاثة أيام كفارة ثلاث سنين»[٢]. يعني من صغائر الذنوب.

فلَّما يحصل من المؤمنين في أنهم إذا أغدق عليهم بالنعم قصروا في العبادة واشتغلوا عن الطاعة ونسوا شكر المنعم، اقتضى هذا أن يبتليهم الله بالضراء وبما يكرهون، من أجل أن تتحقق فيهم عبودية الله، ومن أجل أن يكونوا صالحين للعبادة وقائمين بها، ومؤدينها على وجهها، ومن أجل أيضًا زيادة الحسنات وتكفير السيئات، فكما علمتم أن فوائد البلاء بمرض الحمى فقط، مغفرة للذنوب فهو كذلك أيضًا فيها منافع للعبد في الدينا عظيمة قال

---

(١) برقم (٢٥٧٥).

(٢) أخرجه تمام الرازي في «فوائده» (١٣١٥)، وهو موضوع مسلسل بالكذابين، وجاء عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا عند القضاعي في «مسند الشهاب» (٦٢). وإسناده ضعيف جدًّا.

الأطباء: «إنه ينتج بسببها علاج أمراض أخر مالا تزول تلك الأمراض إلا بعد سنة بعد علاجها، وذلك في أنها تدخل في كل الأعضاء فتحركها وتنشطها، وتذهب الجمود الذي فيها مالم يكن في غيرها من العلاج والأدوية».

وكذلك أيضًا: يبتلي الله العبد بالبلاء لكي يعرف العبد مقدار معافاته وصحته، فيحمد الله على ذلك؛ لأن العبد إذا تربى في العافية، فإنه لا يعرف ما يقاسيه المبتلى؛ لأن من ذاق ألم المرض عرف بعد ذلك قيمة الصحة، وعرف نسبة مرضه إلى نسبة صحته وعافيته، فيحمد الله.

وقد كان السلف يدركون ذلك، فهذا الفضيل بن عياض لما مرضت ابنته، فمرض كَفَها، فقال لها: كيف حالك؟ فقالت: بخير والحمد الله، لئن كان الله ابتلى مني قليلاً فلقد عافاني كثيرًا، ابتلى كَفِي وعافاني في بدني، فله الحمد.

فالابتلاء ولا بد علامة على إرادة الله عز وجل بصاحبه الخير

جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سَعِيدَ بْنَ يَسَارٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»[1] . أي يبتليه.

مفهوم الحديث أمن من لم يرد الله به خيرًا لم يبتليه.

[1] رواه البخاري (٥٦٤٥).

فكم من إنسان ما عرف الله وما عرف قراءة القرآن، بل وما عرف قدر نفسه، إلا إذا ابتلاه الله بالمرض أو بالسجن أو بالفقر أو بفقد المال، أو... إلى غير ذلك من أنواع البلاء.

ولهذا انظروا إلى هذا الحديث ما أعظمه لمن فقهه:

جاء في مسند الإمام أحمد بسندٍ حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال مرَّ النبي ﷺ على أعرابي فأعجبه صحته وجلده، فدعاه النبي ﷺ فقال له: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخَذَتْكَ أُمُّ مِلْدَمٍ قَطُّ؟ " قَالَ: وَمَا أُمُّ مِلْدَمٍ؟ قَالَ: " حَرٌّ يَكُونُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ "، قَالَ: مَا وَجَدْتُ هَذَا قَطُّ، قَالَ: " فَهَلْ أَخَذَكَ الصُّدَاعُ قَطُّ؟ " قَالَ: وَمَا الصُّدَاعُ؟ قَالَ: " عُرُوقٌ تَضْرِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي رَأْسِهِ "، قَالَ: مَا وَجَدْتُ هَذَا قَطُّ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ: " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»[١].

يعني أن الكافر قد يكون صحيح البدن لكنه مريض القلب، بعكس المؤمن فإنه قد يكون مريض في بدنه، لكنه معافى صحيح القلب، صحيح المعتقد اسلامه وإيمانه، فكفى بها نعمة أن يثبت الشخص على دينه وأن لا يكون حزينًا على شيء من الدنيا، وأن لا يشكوا مصيبة نزلت به إلى أحد غير الله خالقه ومولاه، وأن لا يغتر بشيء مما عليه الكُفار، فإنه متاع زائل، ثم إلى

---

[١] رواه أحمد في "مسنده" (٢ / ١٧٦٣)، (٢ / ١٨٤٧)، وأبو يعلى في "مسنده" (١١ / ٤٣٢) والبزار في "مسنده" (١٤ / ٣٢٣).

جنة أو إلى نارٍ، فصاحب البلاء في الآخرة، لمَّا يرى ما ذا أعد الله له من الجزاء جزاء صبره واحتسابه، يتمنى أن لو كان جسمه في الدنيا يقرض بالمقاريض، لما يرى ما يذهب أهل البلاء من الأجور والحسنات قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ ﴾ الزمر: ١٠

فالعبادات كلها يوَّفى أعمال أهلها بالميزان من صلاة وصيام وصدقة وحج، إلا أهل البلاء فإنهم تصب لهم الأجور صبًا بلا عدد ولا حساب، فارضى بهذا ولا تتسخط ولا تجزع، ولا تيأس، وإنما يكن أَملُكَ في الله كبير، وطمعُك فيما عند الله عظيم، وتعلقك بالله كبير واسع، حتى تهون عليك مصائب الدينا وتُخفف عليك أحمالها وأعبائها وأثقالها.

السبب الرابع والعشرون: أن تكون متفائلًا

نعم أن يكون الشخص متفائلًا بالخير غير مبالٍ بما يجري عليه في هذه الحياة من البلايا والمحن ومن المصائب والنكبات وغيرها؛ لأن هذه هي طبيعة الحياة ولابد.

ولهذا قال الشاعر:

ثمانية لا بد منها على الفتى ... ولابد أن تجري عليه الثمانية

سرورٌ وحزن واجتماع وفرقة ... وعسر ويسر ثم سقم وعافية

فلا يظل ولا يبقى يشغل نفسه ويشغل فكره بتتبع أخبار الآخرين، والخوف من المستقبل، فلان طلع وفلان نزل، وفلان ذهب وفلان أتى، وفلان فاز وفلان خسر، وفلان حصل له وفلان ما حصل له، لا ينبغي هذا أبدًا؛ لأن هذا مما يبعث في النفس القلق والاضطراب النفسي والتوتر الذي يضر بصحة الشخص.

ولهذا قال الحكماء: «من تتبع الآخرين أضاع نصف راحته، ومن تذكر الماضي المرير أضاع مستقبل حياته». ولكن دع الأمر لله والغيب لله وليكين حالك كما قال الشاعر:

دع المقادير تجري في أعنتها ... ولا تبيتن إلا خالي البال

ما بين عمضة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

وقال آخر:

كن عن همومك معرضا … وكل الأمور إلى القضا

وابشر بخير عاجل … تنسى به ما قد مضى

فلرب أمر مسخط … لك في عواقبه الرضا

فلا داعي أبدًا أن يرهق الشخص نفسه فيما لا يعود عليه بالنفع.

نعم قد تتذكر من ماضيك ما ينفعك في دنياك وأخراك كأن تتذكر أنك كنت فقيرًا فأغناك الله، ومعدمًا فأعطاك الله، ومريضًا فشفاك الله، فتزداد بذلك حمدًا لله وشكرًا له واعترافًا لما أنعم عليك به.

وقد تتابع أخبار أنبيائك ورسلك وتتبع أخبار الأمم السابقة ماذا وماذا جرى لهم وإلى أين صار حالهم، فإن هذا أنفع لك في أن يزداد إيمانك ويصلح حالك وتقوى صلتك بربك ويعظم رجاؤك فيه بإذن الله عز وجل.

هذا هو المطلوب أن يكون عليه العبد حتى يسعد وينعم بحياته ويستمتع بها ويصلح له الحال ويستقيم له المآل.

واعلم أنك مسافر إلى الله تعالى وإنما أنت في هذه الحياة الدنيا كضيف وما في يدك من متاع الدنيا إنما هو كعارية، والضيف لا بد أن يرتحل والعارية لا بد أن تُرد إلى أهلها، وأن مكوثك ولبثك في الدنيا قليل بجانب الحياة البرزخية وحياة البعث والنشور فجدير بك وحريٌّ بك أن تكون همتك الآخرة مادام أنك سائر إلى الله لتنال كرامة الله في الآخرة ألا وهي الفوز

والظفر بالجنة، فلتكن همتك ذلك وكما يقال:

لنـــا همـــم وللهِمـــم اشـــتعال وصدق القـــول يتبعـــه الفعـــال

السبب الخامس والعشرون: مصاحبة الصالحين الأخيار ومجانبة الأشرر والفجار:

إن اختيار الصحبة الصالحة وانتقاء الرفقة الطيبة من أعظم الأمور المساعدة على بقاء الشخص في الخير وعلى صلاح قلبة وسلامة دينه من الشر، وقد أمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بذلك فقال: «لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي»[(١)].

فهذا من حرص النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على سلامة المرء المؤمن وثباته على دينه وجبه للتدين وأهله، لأن صديق السوء ربما يكون سببًا عظيمًا في انحراف المؤمن وفي إضلاله وفي إبعاده وصده عن طريق الهدى وعن طريق الحق، بل ربما في سوء خاتمته كما هو الحال مع أبي طالب عمِّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عندماساير أبا جهل، فلما جاءه الموت وأراد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يلقنه الشهادة لعله ينجو بها، وأبا جهل كان عند رأسه يقول له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ أي: أتترك دين آبائك وأجدادك. حتى مات وهو لم ينطق بالشهادة عياذًا بالله.

فأصحاب المودة والمحبة الذين كانوا في الدنيا على غير مرضاة الله ما أسرع

---

(١) رواه أبو داود في (٤٨٣٢) والترمذي (٢٣٩٥) وأحمد (٥ / ٢٣٧١)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

ما تنقلب تلك المودة والمحبة إلى عداوة وإلى كره وبغض إن لم تكن معجلة في الدنيا، فهي في الآخرة ولا بد، ولهذا قال الله مذكرًا ذلك: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. فيوم القيامة كلًّا يقول للآخر: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨]. أي: فبئس القرين أنت كنت ليَّ في الدنيا أضللتني عن الهدى بعد إذ جاءني وصددتني عن الحق بعد إذا جاءني حتى هلكت فبئس القرين أنت لي اليوم.

انظروا! يتمنى أن لو فُرِّق بينه وبين صاحبه أبعد ما بين المشرق والمغرب أين تلك الصحبة أين ذلك الاجتماع؟ أين ذلك الضحك واللعب والمزاح؟ ذهب سدًى ولم يبقى إلا ما استثنى الله فقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، قال ابن جرير: «المتخالون يوم القيامة على معاصي الله في الدنيا، بعضهم لبعض عدو، يتبرأ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»(١).

ولهذا قيل: «من نصحك فقد أحبك، ومن داهنك فقد غشك».

انظروا فرح محدود ثم يعقبه الحسرة والندامة ومرح موقوت ثم يتبعه الخزي والملامة فبئس هذا الفرح والمرح وما قصة الرجلان لا لذان ذكرا في سورة الصافات عنا ببعيد حيث قال الله عنهما: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

(١) «جامع البيان» (٦٣٩/٢٠).

﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢
أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥
قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾
[الصافات: ٥٠، ٥٧]. أي: كان يقول لصاحبة: تعال نلعب، تعال نلهو، دعك من العبادة، دعك من الطاعة، دعك، دعك.. الحياة طويلة، الموت بعيد، ولكنه بفضل الله ما صدقه ولا اتبعه فيما دعاه إليه وإنما أقبل على عبادة ربه وعلى طاعة والديه، فلما مات وسار كلٌّ منهما إلى مصيره أرى الله المؤمن صاحبه في النار، فجعل يقول له: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾ [الصافات: ٥٧]. أي: لكنت معك الآن أعذب في نار جهنم، والعياذ بالله.

قال محمد بن المنكدر: «لم يبق من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ومصاحبة الأخيار، والصلاة في الجماعة».

ولهذا أقول: لا راحة لنا ولا نجاة ولا سلامة إلا بديننا وتمسكنا بتعاليم الدين، وإلا سرنا إلى الشقاء والعناء ولا ينفع بعد ذلك الندم، نسأل الله العلي العظيم أن يحبب إلينا الإيمان وأن يزينه في قلوبنا، ويكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان وأن يجعلنا من الراشدين!

السبب السادس والعشرون الدعاء

الدعاء هو ذالكم الحبل أو الخط الواصل بين العبد وربه فإذا أحب الله عبداً فتح الله له باب الدعاء قال عليه الصلاة والسلام (ما كان الله ليفتح على عبدٍ باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة) فالدعاء سبب مفضٍ للإجابة عند إستكمال شرائطه وإنتفاء موانعه.

فإذا فتح الله عليك باب الدعاء فاعلم أن الله قد أراد بك خيراً أراد الله أن يجعل لك فرجاً ومخرجاً من صنوف البلايا والرزايا التي تنتاب المسلم ما بين الحين والآخر قال الله في كتابه الكريم {ففروا إلى الله} فإذا فرَّ العبد بقلبه وقالبه وبشبحه وروحه ملتجاً إلى الله متضرعاً بين يديه فإن الله لن يخيبه وإن الله لن يرد يدي عبده صفراً.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة.

وجاء في المسند من حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ»

فمن دعاء فليعزم المسألة فإن الله لا مكره له فهو الذي يقول {أدعوني أستجب لكم}

فإن استعان بالله في أمره أنجاه الله من ملمات هذا العصر ومن فتنة وجعل له من كل هم فرجاً ومن كل ضيقٍ مخرجاً وسهل أمره ويسر عسره ورزقه من حيث لا يحتسب.

فادعوا الله سبحانه وتعالى فإنه هو المدبر للكون المالك لأنفاس العباد الميسر لأمورهم الخبير بهم وبأحوالهم العليم بسرائرهم وضمائرهم وخفاياهم وماتكنه صدورهم فلا تعجز عن الدعاء ولا تغفل عنه فتقول دعوت فلم يُستجب لي لا هذ ليس من شأن المؤمن فالدعاء هو العبادة ونحن مأمورون به وموعودون عليه بالإجابة كما جاء في السنن الأربعة من حديث النعمان ابن بشير أن النبي قال (الدعاء هو العبادة)

فقد يجيب الله دعاءك في الحال أو يؤخرها لحكمة منه أو يرفع عنك من السوء مثله أو يغفر لك ذنباً قد سلف ويدخره لك في الآخرة فادعُ الله ولست بخاسر بل أنت رابح ستفرح وتسعد به ولو بعد حين والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الباب الثاني

الفصل الأول

مفهوم السعادة

إنه من الخطأ أن يظن الظان أن السعادة تعني لا شقاء ولا عناء ولا ابتلاء ولا مرض ولا فقر ولا جوع ولا ولا ... لا هذا فهم خاطئ؛ لأنه فهم مخالف لسنة الله الكونية التي سنها الله على عباده في هذا الكون قال الله ﷻ وهو يحكي حال الإنسان في هذه الحياة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ البلد: ٤ أي: لا بد للإنسان من معاناة في هذه الحياة.

ولهذا لو نظرنا من أسعد الناس فينا لوجدنا أن أسعد الناس في هذا الكون هو نبينا محمد ﷺ فهو أسعد من مشى في هذه الحياة، ومع ذلك عانا في هذه الحياة أشد المعاناة، عاني فيها مالم يعانيه غيره، فلقد أصيب بالمرض وشُج في وجهه وكسرت رباعيته، ويسقط في حفرة التي حفرها له أبو عامر، بل لقد كان يُصاب بالمرض كما يصاب رجلين، ولهذا لما كان يوعك وعكًا شديدًا، فقال له أحد أصحابه: أتوعك يا رسول الله؟ قال: «بلى، أوعك كما يوعك الرجلين»[1] . يعني يضاعف له المرض.

وكذلك ما جاء عن عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : «يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ

---

[1] رواه البخاري (٥٦٦٧)، ومسلم (٢٥٧١).

عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ "، قَالَ: " فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ "، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[١]. **ومع ذلك كان من أسعد الناس لماذا؟** لأنه رضي بقضاء الله وقدره؛ ولأنه أحسن العلاقة مع ربه ﷻ وقويت وعظمت صلته بربه تبارك وتعالى.

وهكذا كان الصحابة من بعده والتابعين وتابعي التابعين ومن سار على نهجهم وأقتفى أثرهم رضى الله عنهم.

فهذا الإمام أحمد لما جلده الخليفة في فتنة خلق القرآن، والقرآن معلوم أنه كلام الله منزل ليس مخلوق، فجلده حتى كان يغمى عليه، وذلك من أجل أن يقول بأن القرآن مخلوق، وهو يأبى ذلك، فلما أفاق وخرج من عند الخليفة

---

[١] رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

ماذا قال لأصحابه؟ قال: «والله لو كان لي دعوه مستجابة لجعلتها في ذي سلطان»[١] . أي يدعى له بالصلاح والخير والاستقامة.

ما الذي جعله يدعوا له بالخير وقد جلد ظهره حتى تفطر دمًا؟

إنه الحرص على هداية الخلق لم يحملوا همّ أنفسهم، وإنما حملوا همّ هذا الدين فهانت عليهم أنفسهم.

إنه الشعور بأن الدنيا فانية، بل إنه تعلق القلوب بعلام الغيوب، ولهذا عاشوا سعداء وماتوا شهداء، ولحقوا بركب الأنبياء، بإذن الله تعالى، عندما علموا أن عمر الدنيا قصير وكنزها حقير، والأخرة خير وأبقى.

بخلاف المتعلقون بالدنيا والعاشقون لها والراكنون إليها، فإن أشد ما يكون على قلوبهم فوت حضوضهم منها وتنغيص راحتهم فيها؛ لأنهم يُريدونها وحدها، فلذلك تعظم عليهم المصائب وتكبر عليهم النكبات، لأنهم نظروا تحت أقدامهم فلم يروا إلا الدنيا الغاشمة الحقيرة الزهيدة الرخيصة، ولو نظروا فوق رؤسهم لرأوا الجنات وتعلقوا بمالك الأرض والسموات فلمَّا كانت نظرتهم قاصرة عميت عليهم الأنباء، واختلطت بهم الأمور حتى أنهم ما فهموا السعادة حقًا.

ولا نفهم حينما نذكر حقارة الدينا أنها لعب ولهو، فنضل نلعب ونلهوا كما قال البعض: "نفرح ونمرح والدينا قليل وهي موته"، لا هذا على خطر

---

[١] «مجموع الفتاوى» (٣٩١/٢٨)، «كشاف القناع» (٣٧/٢).

عظيم، وإن جاء في القرآن الكريم كذلك: فإنما هو توهينًا لأمرها وبيان لحقارتها حتى لا نغتر بها، وإلا فهي مزرعة الآخرة وسلمًا للجنات وأعالي الدرجات، فهي محل العبودية ومحل التنافس إلى الخيرات؛ لأن عاقبتها إما إلى جنة ورضوان وإما إلى عذاب ونيران.

فليتنبه المسلم لذلك ألا يكون همه الراحة في الدينا دون النظر إلى أمر الآخرة، قال الشاعر[1]:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوءٍ في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

---

[1] «مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي» (١٨٣/٩).

السعادة ليست سعادة الأبدان فقط

السعادة ليست سعادة الأبدان فحسب، بل إن السعادة كما وصفها العلماء:

هي الشعور بالأنس، وراحة القلب، والتلذذ بقضاء الله وقدره.

فالطمأنينة المنسكبة على القلب هي التي تجعل الإنسان سعيدًا حتى وإن كان مريضًا حتى وإن كان فقيرًا، وإن كان معدمًا، ما دام أن أنوار السعادة في القلب فإنها تؤثر على الأبدان، فتجعل الإنسان سعيدًا بإذن الله رب العالمين.

ولكن لا يعني هذا أن من كان ذو مال لا بد أن يكون شقيًا:

فصاحب المال قد يستطيع أن يصنع السعادته؛ لكن إذا كان تقيًا ولهذا قال الشاعر[(١)] :

ولست أرى السعادة جمع مالٍ   ولكن التقي هو السعيدُ

فالتقوى أعظم شيء يستطيع الإنسان أن يبني بها سعادته، تتقي الله طاعتك لربك، تتقي الله في طاعة والديك، فالسعادة ليست في جمع الدينار والدرهم، وإنما هي في تقبيل يد أمٍ رؤم وأب رؤف.

أمَّا أن يترك الرجل أباه ويعق أمه ويريد أن يكون سعيدًا فهذا محال، وألف محال، بل والله إنها أصل التعاسة وأصل الشقاوة أن يعق الرجل والديه

(١) المصدر السابق (٥/١٤).

ويعصي ربه عز وجل.

ما أكثر الذين يريدون السعادة ولكنهم يخطئون طريقها.

تجد الغالب من الناس أنهم يتعلقون بالأفلام والمسلسلات، ومنهم بأماكن المقاهي والمنتزهات، ومنهم بمجالس القات التي يغلب عليها القيل والقال وإضاعة المال، ويظن السعادة في ذلك، وأنه سعيد مع ذلك، ولكن لوتركها وتاب إلى لله وعلق قلبه بالله وبما عند الله، لوجد أن ما كان فيه من سعادة، إنما كانت مجرد أوهام ومجرد تزيين الشيطان، فبئست السعادة التي تعقبها الحسرة والندامة.

ولهذا لن يجد أحد أبدًا طعم السعادة، وحلاوة السعادة إلا بالإيمان بالله، ومن زعم السعادة بغير الإيمان بالله فهو على خلاف ما زعم، ولهذا قال الشاعر[١]:

إذا الإيمان ضاع فلا حياة ... ولا دنيا لمن يشر دينا
ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جعل الغناء له قرينًا

مشكلتنا مع عدم تحقيق السعادة

لو فكر الإنسان في هذه الحياة، بأن عمرها قصير وكنزها حقير، لما عظمت

---

[١] «الجامع الصحيح للسيرة النبوية» (١٨٠٤/٤).

عليه مصائبها ولما كبرت عليه نكباتها، بل لو علم أنه من أصيب هنا شقي هناك، ومن تعب هنا ارتاح هناك.

لما ندم على شيء فات عليه منها ولما أسف على شيء فات عليه من حضوضها.

ولكن مشكلتنا أننا نسينا الآخرة، وذهبنا نتطلع إلى الدينا وزخرفها، والرسول ﷺ يقول «انْظُرْ إِلَى مَنْ تَحْتَكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تُزْدَرَى نِعْمَةُ اللهِ عِنْدَكَ»[1]. أي انظر إلى من هو دونك لا يملك مال ولا عافية ولا يملك صحة ولا شيء. هذا في باب الدنيا أما في باب الآخرة فالعكس ولهذا قال العلماء: «مشكلتنا أننا ننظر في العشرين في المئة التي فقدناها ولا ننظر في الخيرات من حولنا» وهذه هي طبيعة الإنسان.

تجد الإنسان عنده التسعين بالمائة من النعم ولكن إذا أصيب بجزء مصيبة نزلت به فتجده لا يذكر النعم التي يتقلب فيها ليل نهار، وإنما يشكوا تلك المصيبة التي نزلت به، تجد المريض أينما ذهب وأينما سار يشكوا مرضه ولا يذكر نعمة البيت، نعمة الزوجة، نعمة الأولاد، نعمة الرزق، أبدًا لا يتذكرها.

بالله عليكم لو قيل لواحدٍ منا: لك أجمل قصر تريد وفي المكان الذي تريد، لكن على أن تكون أعمى في هذه اللحظة لا ترى شيئًا، أو تكون

---

[1] رواه ابن حبان (٣٦١) عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أصم لا تسمع شيء أو تكون أبرص كل جسدك برص وبهاق وجذام أو تقطع رجلاك أو يداك، هل يرضى أحدٌ بذلك؟ إذن لماذا تشكوا، وعندنا المليارات ومليارات وأرزاق ونعم لا توزن.

نِعَمْ أغلى من الذهب وأغلى من الماس وأغلى من اللؤلؤ والزبرجد، ولكن كما قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ سبأ: ١٣ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ النحل: ٨٣ فإياك إياك أن تجحد نعمة الله عليك وأنت لا تشعر بذلك، ولهذا قال أحد العلماء : «**فكر واشكر**»[(١)] .

أي تفكر في سمعك وقد عوفيت من الصمم، تفكر في نظرك وقد سلمت من العمى، انظر على جلدك وقد نجوت من البصر والجذام، انظر إلى عقلك وقد أنعم الله عليك بحضوره ولم تفجع بالجنون والذهول تجد أنك في نعم عظيمة وأفضال جسيمه، ولكنك لا تدري، تذكر نعمة النوم، وقد أطار الألم نوم الكثيرين، فحذاري حذار أن تحتقر هذه النعم عليك.

أحقير أن تأكل أشهى المأكولات من الطعام، وتشرب أفضل المشروبات، وهناك أمامك من ينغص عليه الطعام ويعكر عليه المنام بأمراض وأسقام، احذر أن تحتقر نعمة الله عليك، قال الله ﷻ : ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

---

(١) دروس عائض القرني.

﴿الذاريات: ٢١﴾ فكر في نفسك بدءًا برأسك وانتهاءً برجلك، فكر في عقلك وبصرك وسمعك ولسانك ويدك ورجلك، تجد النعم تغمرك، حتى نعمة الأظافر ونعمة الدم، ونعمة الشعر، ونعمة اللون، فتحمد الله على ذلك وتقول: الحمد لله الذي أنعم عليّ بهذه التي قد حُرم منها غيري.

وبهذه الطريقة تستطيع أن تنتصر على السلبيات التي أنت تشكوا منها، وتتذمر منها ولا تحمد الله عليها.

جاء في الحديث عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمي، عن أبيه، وكانت له صحبة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»[(١)]. عندك غرفة لتنام عندك طعام وشراب، عندك عافيه أنت مؤمن، كفى بها نعمة والله، أنت من أغنى الناس.

سأل عمر في عهده عن المساكين فقال رجل: أنا، فقال له هل لك بيت تسكنه؟ قال: نعم، قال لكَ طعام ما يكفيك يوم قال: نعم، قال: إذًا أنت من أغنى الناس.

بمعنى أن المسكين هو الذي لا يجد مأوى يبيت فيه، ولا طعام يأكله، ويَتقوت به في يومه.

قال أبو العتاهية:

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١).

رغيف خبز يابس تأكله في زاوية   ومصحفًا تدرسه مستندًا لسارية
وكوز ماء بارد تشربه من صافية   خيرٌ من السكنى بضلال القصور
من بعد هذا كله تصلى بنار حامية

إي إذا لم يرضى العبد بهذا فيخشى عليه أن يكون قد تسبب في غضب الجبار عليه؛ لأنه قد تسخط وتنكر وازدرى نعمة الله عليه.

مر رجل مع أحد الحكماء وأخذ يتناول الحديث معه حتى ساق به الحديث إلى أصحاب الأموال، فقال له: أين كنا يوم أن قُسِّمَت هذه الأموال وكيف حُرمنا ذلك؟

فأخذ الحكيم بيده وذهب به إلى أحد المستشفيات، وقال له أين كنا يوم أن قُسِّمَت هذه الابتلاءات، فأصيب الرجل بالإسكات عندما كان الرد عليه علقمًا في وجه، فقال له الحيكم: إن العافية تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى.

فالله ﷻ قد يعطي العبد المال لكن يحرمه من العافية، وقد يعطيه العافية لكن يحرمه من المال وهذه حكمة بالغة يعلمها الله ﷻ.

أمر عجيب

إن من العجيب أن تجد من يطلب السعادة ويريد السعادة، لكنه لا يصلي ولا يسجد لله سجدة، فأنى له السعادة، أن ينالها وهو لم يسلك سبيلها.

كان النبي ﷺ إذا جاء من سفرٍ وقد أصابه الإعياء والتعب والعناء قال: «قم يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها»[١].

فالذي يدخل الصلاة بخشوع ينسى هموم الدنيا ومتاعبها، ويشعر بالراحة والطمأنينة، بخلاف من لم يصلي فإن الهم يلاحقه والتعب يلازمه، ولا يجد أثر الراحة في حياته أبدًا.

رأت امرأةٌ الإمام أحمدَ والناس حوله مطمئنين، فقالت: «هذه هي السعادة حقًّا، ليست السعادة في ملك هارون الرشيد». إنما السعادة في العلم بالإسلام والعمل بمقتضاها.

دخل بعض اليهود في الإسلام فقالوا: والله ما وجدنا هذه السعادة إلا في الإسلام، على الرغم مما عندهم من الأموال والعقارات والطائرات وغيرها مما هم فيه، لكن عرفوا أن السعادة ليست في البنوك ولا في لأرصدة ولا في الأموال ولا في شيء بل لقد أصبح المفكرون الغرب يرحبون بالإسلام كحل، وذلك عندما جربوا الديانات وجربوا المذاهب وجربوا الأفكار وجربوا الديمقراطيات والثورات، فلم ينتفعوا بذلك وإنما ازدادوا بذلك بؤسًا إلى بؤسهم وتعاسة إلى تعاستهم، فنظروا إلى الإسلام فوجدوا فيه العلاج والدواء.

---

[١] رواه أحمد في (١٠ / ٥٤٧٦)، (١٠ / ٥٤٩٣)، وأبو داود (٤٩٨٥)، (٤٩٨٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٥

الباب الثالث

حقيقة السعادة:

ليست السعادة في القصر المشيد والبستان الرفيع والحديقة المزهرة، ولا في الجاه ولا في المنصب، ولا في السلطان، ولا في الملعب ولا في الميدان، كلا والله ولكنها في طاعة الله وفي السير على منهج الله وعلى ما جاء محمد ابن عبدالله ﷺ قال الله مبينا ذلك: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ النحل: ٩٧ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الحياة الطيبة: هي السعادة»[١].

فاخبر سبحانه بأن السعادة الكامله في الدنيا والآخرة تكون للمؤمنين والمؤمنات والصالحين والصالحات والعابدين والعابدات والمتقين والمتقيات، فكما سمعتم في الآيه أن مَنْ عمل صالحًا من ذكر أوأنثى، أي من أي جنس كان، ومن أي لون كان، ومن أي قبيلة كان، ومن أي أسرة كذ ت، ما دام أن الإيمان قد خالط بشاشة قلبه قال الله: فلنحيينه الفاء هنا للتشريف والتكليف والتعريف والقسم فلنحيينه حياة طيبه حتى ولو كان يعيش في كوخٍ صغير في الصحراء مادام أنه مؤمن بالله، وما دام أنه يطيع الله، وما دام

---

[١] «التيسير في أحاديث التفسير» (٣٦٨/٣).

أنه يصلي ويسبح لله ﷻ، أما من لم يطع الله ولم يـأت إلى بيـوت الله إلى مـكان التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والذكر فلن يحييه الله حيـاة طيبـة ولـن يعيش حياة سعيدة ولو سـكن القصـور العاليـة والـبروج المشـيدة قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ طه: ١٢٤

لذا فليسـكن القصور العالية، وليسـكن البروج المشيدة، وليسير الذهب والفضة وليلعب بالطوابير ما شاء، وليسير المواكب كيفمـا أراد... إذا كان هـو معرض عن الله فإن القلق والله يصاحبه والفزع والخـوف يلاحقـه، وإن الهـم والغم والحزن يتبعه ويلازمه، مادام أنه معرض عن الله؛ لأن السعادة بيـد الله فهو الذي يملك السعادة، وهو الذي يملك الحياة الطيبة فهو الذي عنده المجـد وعنده العزة وعنده السؤدد، فمن عبد الله وأخلص لله أعزه الله واحيـاه حيـاة طيبة وجعله يعيش سعيدًا في الدنيا والآخرة.

إن أنوار السعادة الحقيقية هي في الهداية على الحق المبـين والاسـتقامة على الصراط المستقيم، ولهذا تجد أن أكثر من يفتقـدون السـعادة في حيـاتهم إنهـم المحرومون مـن نـور الهدايـة والمحرومـون مـن التوبـة والإنابـة والاسـتقامة المحرومون من بر الوالدين، المحرومون من المشي إلى المسـاجد، والرَسُـولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسَـاجِدِ بِـالنُّورِ

التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١] .

المحرومون من الصدقة فعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ»، أَوْ قَالَ: «يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ» . قَالَ يَزِيدُ: كَانَ أَبُو الْخَيْرِ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ لَا يَتَصَدَّقُ فِيهِ بِشَيْءٍ، وَلَوْ كَعْكَةً، أَوْ بَصَلَةً " المحرومون من تعلم الأحكام التي دعت إليها الشريعة، المحرومون من ذكر الله والله يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ الرعد: ٢٨

المحرومون من مسح رأس اليتيم، والرسول يقول: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ يَعْنِي: السَّبَّابَةَ وَالوُسْطَى[٢] .

هؤلاء هم المحرومون حقًا من السعادة.

ولهذا لو نظرنا إلى مرض كثير من الناس في هذا العصر لوجدنا أن أكثر ما يعانون منه إنه مرض الاكتئاب النفسي، مرض القلق والضيق على الرغم من توفر كل وسائل الحضارة والرفاهية، التي يحتاجون إليها وتوفر كل الأمور المادية والحياتية، لكنك تجده مكتئب نفسيًا متغير داخليا، يعيش في قلق

---

[١] رواه أبو داود (٥٦١) والترمذي (٢٢٣)، عن بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

[٢] رواه البخاري (٥٣٠٤)، ومسلم (٢٩٨٣) عن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ووهم وغم وضيق، لأنهم بعيدون عن طريق الهداية والاستقامة.

ولهذا تجد أكثر من يعانون من هذه الأمراض مرض الضيق والاكتئاب النفسي هم الكفار حتى يؤدي بهم ذلك إلى الانتحار والعياذ بالله، فقد ذكرت بعض الإحصائيات أن نسبة من ينتحرون في روسيا يبلغ عددهم في السنة إلى خمسين ألف شخص ينتحرون، وهكذا قلْ في أمريكا وأربا، بل أكثر المنتحرين في العالم إنهم في دولة السويد التي هي تُعد من أغنى دول العالم لماذا هذا؟ مع أن عندهم كل مشتهياتهم ومتطلباتهم الإباحية والزنا والخناء والخمور وغيرها... التي قد يظن البعض أن السعادة فيها؛ لأنهم ما عرفوا الله؛ ولأنهم ارتكبوا ما حرم الله عليهم، فضاقت بهم أنفسهم وضاقت بهم الدنيا بما رحبت، ولهذا اتصل رجل على أحد المغنين المشهورين في العالم في مكالمة مسجلة له فقال له: يا فلان أنت الآن مشهور عبر العالم وأغلب الناس يفرحون فيك، فبالله عليك هل أنت سعيد بذلك؟

فقال: لا والله لم أشعر بالسعادة قط، ولم أعرفها وإنما هي مظهرية فقط.

فالسعادة الحقيقة ليست في الثراء والغِناء، وليست في الشهرة والظهور، وليست في أن ينال الشخص كل متطلباته المادية والحياتية، وإنما هي في أن يعيش العبد مع ربه ويلتزم بشرع الله وشرع نبيه عليه الصلاة والسلام، وأضرب لكم مثلاً على ذلك:

هذا الملك حسين بن طلال ملك المملكة الأردنية سابقًا يقول في كتاب له بعنوان: «مهنتي كملك» وهو يحكي عن نفسه في كلمة له حول السعادة:

يقول: «إنني أعتقد أنه من العسير جدًا إدراك السعادة في هذه الحياة سواءً كان المرء ملكًا أو إنسانًا عاديًا، ثم قال: ماهي السعادة بالنسبة للغالبية العظمى من الناس، قال: إنما الحصول على عمل ممتع وعلى راتب جيد، وأسرة لطيفة تسعد بها النفس والقيام بالرحلات من وقت إلى أخر، وأن يكون له بعض الأصدقاء، يقول: لقد نلت هذا كله، ولكن هل يعني حقًا أنني سعيد؟ لا أجد ذلك، ثم قال: نعم لقد كانت حياتي خصبة مليئة، ولربما لم يعرف مثلها إلا القليل من الناس، ولكن لم أجد السعادة رغم هذا كله».

ثم وصف حاله في شغله في العمل وتأخره في الغداء بسبب زيارات الأجانب له، وقلة لقائه بأهله، وندرة اجتماعه مع أطفاله.

ولكن بعض الناس قد يحسد الملوك والمسئولين على ذلك، فهل علمتم حالتهم؟

إن السعادة الحقيقية هي في الإقبال على الله ولزوم طاعته، مع أخذ النصيب من الدنيا وجعلها بلاغًا للأخرة، إن أصحاب الاستقامة هم السعداء وهم الملوك حقًا.

هذا إبراهيم ابن أدهم، الذي كان زاهدًا في الدينا كان يلبس الصوف: (الثياب المرقعة) وكان لا يجد من قوته إلا الخبزة اليابسة، كان يمشي- مع أصحاب له على نهر دجلة فأخرج كسرة خبزًا من جرابه وجعل يسكعها في

النهر، ثم أخذ يكلم أصحابه ويقول لهم: «نحن والله الملوك الأغنياء، لا نبالي على أي حالٍ أصبحنا ولا أمسينا، نحن والله الملوك حقًّا، نحن والله الذي تعجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدينا، براحة قلوبنا، ثم قال: «والله لو يعلم الملوك، وأبناء الملوك ما نحن فيه من الراحة لجالدونا عليها بالسيوف»[(١)].

ما الذي جعلهم على هذا الحال من الراحة والسكينة والاستقرار النفسي، إنه العيش مع هذا الدين، إنها الحياة مع العلم الشرعي، إنها الحياة مع الطاعة والعبادة لله وحدة لا شريك له.

ولهذا تأملوا معي هذا الكلام النفيس الذي يذكره ابن القيم ويصف به حال أحد السعداء بما لا يزيد عليه بالوصف يقول رحمه تعالى: «والاقبال على الله تعالى والانابة إليه والرضاء به، وعنه وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة، وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه حسرات»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل الجنة، ألا وهي التلذذ بطاعته وشكره وحسن عبادته».

وقال لطلابه ذات مره عندما حبس وكانوا يأسفون عليه: «ما يصنع بي

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٧٠) والبيهقي في «الزهد الكبير» (٨٠) والخطيب في «الزهد» (١١٥).
(٢) «الوابل الصيب» (ص/٤٧-٤٨).

أعدائي وأنا جنتي وبستاني في صدري، أينما ذهبت فهي معي لا تفارقني، ثم قال: إن حبسي خلوه، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة». أي: يختلي بربه يناجيه ويأنس به، بل كان يقول: لو بذلت مثل هذه القلعة ذهبًا ما جزيتهم على ما تسببوا لي من الخير؛ لأنه تفرغ في حبسه لطلبه للعلم، والقيام بالعبادة، وفي صلة قلبه بربه ﷻ فبلغ بذلك منتهى السعادة.

وكان يقول أيضًا: المحبوس من حُبس قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه[١].

ولما دخل القلعة وسار داخل سورها نظر إليها وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ١٣﴾ الحديد: ١٣

معنى كلامه: أي باطنة فيه العلم والتفرغ للعبادة، وظاهرها الانهماك في الدينا والانشغال بها، على الرغم من أنه كان خلاف الرفاهية والنعيم، ومع ذلك هو من أطيب الناس عيشًا وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا رحمه الله تعالى.

فكلما زاد إيمان العبد أحس بهذا الإحساس العظيم

---

(١) المصدر السابق (ص/٤٨).

مأساة كثير من الناس اليوم

مما جلب للناس الشقاء والعناء والهموم والغموم والأحزان إنه الفراغ وعدم الاشتغال بما ينفع في أمور الدين وفي أمور الدنيا المباح الحلال الطيب.

فمن محطات السعادة أن لا تتركوا للفراغ دورًا، فالفراغ عن العمل يجلب لصاحبه التفكير.

ولذلك تجد أكثر المنحرفين عن منهج الله إنهم أصحاب الفراغ، بل تجد أكثر الذين يقعون في الموبقات والمخدرات والملهيات والمنهيات والمحرمات، إنهم أصحاب الفراغ الذين لم يكن لديهم أعمال دراسية مفيدة أو كدح لطلب الرزق، أو أي عمل في أي مجال مما هو مباح.

بل إنك لتجد أكثر من وقع في القلق والضيق والاكتئاب والانهيار والانحدار إنهم أصحاب الفراغ فإذا بقي الشخص فارغًا أتته الهموم والغموم وأتته الوساوس والهلوسة، التي لم يكن يعهدها من قبل.

فالذي ينشغل بما ينفعه في أمر دينه أو دنياه فذلك أفضل له من أن يبقى فارغًا، يلعب به الشيطان.

ولهذا يقول بلين جنس وهو أحد الأطباء: "اقتلوا الفراغ بسكين العمل يضمن لكم أطباء العالم سبعين بالمائة من الصحة».

لأن الذي يبقى فارغًا يلعب عليه الشيطان ويوسوس له الشيطان حتى يفسد عليه دينه، فيسير مع الضائعين المنحرفين، ويفسد عليه عمله دنياه،

فيبقى تائهًا ضائعًا ساهيًا لاهيًا عياذًا بالله.

حتى قال أحد المفكرين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية: «العمل أو الموت» بمعنى أننا إذا لم نعمل في أي مجال سنموت حتمًا، ستموت أفكارنا وطموحاتنا، ستموت أراداتنا ستموت عقولنا وقلوبنا، ولكن العمل يبعث فينا النشاط والقوة والحياة.

ولهذا لما رأى عمر رجلاً ليس لديه عمل قال: «إني لأكره الرجل السبهلل»(١).

أي: الذي لا عمل له.

فالإسلام يدعونا بل ويأمرنا أن نعمل ونجد في العمل قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ التوبة: ١٠٥

وأعظم شيء يستطيع الإنسان أن ينظم عليه عمله ويرتب عليه حياته إنها الصلاة، تجعل لك بعد كل فرض تؤديه عملاً تقوم به، بعد الظهر تجعل لك وردًا من القرآن، ثم تجعل بعد العصر كل يوم للقراءة والمطالعة، والمعرفة وبعد المغرب تدرس أولادك وأهلك، المهم تنظم أعمالك، إذا لم تعش النظام تعش

---

(١) ذكره السخاوي في «المقاصد الحسنة»، والزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار»، والعجلوني في «كشف الخفاء».

الفشل، ويوم أن تقرأ تصل وتنمي عقلك وتزداد معرفة وعلمًا، وتفكر في الحـق لا في الباطل وفي الخير ولا في الشر، والله المستعان.

قصة مشوقة عن السعادة:

ذكر بعض الكتاب أن رجلاً اشتدَّ به القلق وتكاثرت به الهموم والغموم والأكدار والأحزان حتى ضاق به الدنيا وضاقت به نفسه، مما جعله ذلك لا يستقر في مأوه، فكان يخرج هائمًا من داره تارة، ثم يعود إليه تارة أخرى،وذلك مما اعتراه من شدة الضيق، فحدثته نفسه ذات يوم: أريد أن أعيش حياة خصبة حياة مليئة حياة فارهة حياة جميلة حافلة بالأفراح والأمراح والبهجة والسرور والحبور، **فقرر في نفسه أن يبحث عن الحياة السعيدة الطيبة** فأخذ يفكر كيف السبيل إلى ذلك العيش الهنيء المأمول، وأستهدى الناس إلى هدفة المرجو فقال له رجل إن السبيل إلى ذلك سهل وميسور.

وهو أن تبحث عن أسعد الناس عيشًا وأحفلهم بالحياة، واعمل مثله تكن سعيدًا مثله.

فانطلق الرجل يبحث عنه في الحضر تارة وفي البادية تارة أخرى، حتى جيء به إلى رجل يشهد لنفسه ويشهد له الناس أنه سعيد هانئ لم يعرف يومًا كيف تضيق النفوس وكيف تحرج الصدور.

فتأمل فيه فإذا هو رجل لطيف لا يملك سوى ثوبٍ يغطي جسده وطعامه المعتاد، فعاد الرجل من سفره وهو يتدبر ما وجد ويتفكر فيما رأى، ها هو الحق قد وضح أمام عينية ولم تعد السعادة في رأيه مشكلاً معضلاً.

فأتضح له من ذلك أن سر السعادة، إنما هو في قلة الحاجيات وتخفيض المتطلبات والاكتفاء بالقليل والرضى بما قدره الرب الجليل سبحانه وتعالى.

عرف أن السعادة ليست في التوسع في المال والبيت والإكثار من التنوع في اللباس والطعام والشراب والمتطلبات والحاجيات، وإنما الاكتفاء بنفسك وبما كتبه الله لك، رزقك غرفة تكفيك؛ لأن تأكل فيها وتشرب وتقرأ فيها، ورزقك يدين؛ لأن تصنع بهما، كفى بها نعمة.

انظر ما أيسر السعادة! أن تعيش حياة بسيطة ساذجة متقشفة زاهده.

أيسر السعادة: أن تقول لنفسك ألبس ملابس الشتاء في الصيف، وملابس الصيف في الشتاء، وأسكن غرفة واحدة، وأصنع هذا وذاك بيدي، وأمشي إلى هنا وهناك برجلي، ولا تكثر على نفسك المتطلبات، والتفاكير فيما هو بعيد، ومستحيل أن تصل إليه، فتتعب نفسك بذلك.

فيا أخي: إذا كان عبء الحياة ثقيلاً على كاهلك فانفضه عن نفسك بكلمة واحدة وعزيمة واحدة: أنا أرضى بما كتب الله لي وأسلم لحكم الله فيَّ، ولا أتسخط ولا أجزع ولا أتأفف مما يُقدر لك، هي نفس واحدة في ملك الله، وفي قبضته وتحت تصرفه وسلطانه، فهو المدبر لها والمتصرف فيها وهو الرزاق والكافي والمولي لها سبحانه وتعالى.

فلِمَا الإرهاق ولِـمَا التعب فيما لا يقدر الإنسان أن يصل إليه، وانظر إلى الدينا بأنها زائله وذاهبة، وليس لي فيها مستوطن، وإنما هي عبور منها إلى

غيرها.

انظر كيف كان هذا الشخص كانت نفسه تتمزق إربًا من شدة ما كان يعانيه من تردد وحيرة، وإضراب، فما إن أحسن الرغبة في اعتزال تِلكم التفاكير والأوهام والظنون، ورضي بقسمة الجبار فيه، وأقتنع بـ ذلك، طابت نفسه وأرتاح فؤاده، وهنئت عيشته بحمد الله رب العالمين.

بعض الناس عنده ما يكفيه وما يسعه ويسع أولاده، وأهل بيته، ولكنه يتخلق أمورًا تكدر عليه عيشته وتضيق عليه حياته، فيذهب يتقاتل مع الناس على شبر من الأرض أو أقل أو أكثر، أو ينظر إلى أمورٍ تافهة فيسـ تعظمها ويعظمها ويكبرها أكبر من حجمها ويجعلها ديدانته، ليفسد ويكدر على نفسه وعلى إخوانه المسلمين عيشته وحياته، فما هكذا الحياة، متى سننفض الجهل ونرفعه عن أنفسنا، ونقهر أعدائنا: النفس والهواء والشيطان الرجيم، فلا مبرر للإنسان أن يقول: أنا أنا، ليفتح لنفسه مجالاً للإفساد والهلوسة، فالنفس ليس لها صدد تقف عنده، وإنما كلما أعطيتها شيء نقلتك إلى شيء أكبر منه، ولكن لنكن مع أنفسنا كما كان السلف الصالح، حيث قال عمر ابن عبد العزيز: "وجدت نفسي تواقة إلى كل شيء كلما أعطيتها شيء تاقت إلى ما هو أكبر منه، قال فأعطيتها الجنة" أي عَلِمَ بأن الدينا قصيرة، فاستمر واجتهد في طلب الجنة وطلب رضى لله عز وجل.

فليكن لنا الحظ الأوفر والنصيب الأكبر مما كان عليه هؤلاء حتى ننل

ما نالوا ونسعد كما سعدوا رضي الله عنهم والحمد لله رب العالمين.

حتى لا تتفرق الأسر

إن المحافظة على دوام الأخوة واستمرارية اجتماع أفراد الأسرة لأمرٌ هامٌ للغاية.

فمن المعلوم أن اجتماع الأُسر واستمرارية الأخوة بينهم من أعظم النعم الإلهية على من يشاء، وذلك لما فيه من البركة والخير، ومن التآزر والتآخي والألفة والمحبة والتعاون على إصلاح أمور الدين والدنيا.

ولما كان هذا كله يحصل في التماسك والاجتماع لا بد وأن يحصل لهذه النعمة من محاربين وحساد، ومفسدين لهذه الأخوة ولهذا الاجتماع.

وكون هذا الحاسد أو المفسد غير مقبول في إفساده بالطريقة المباشرة، فإنه يأتي بالإفساد بالطريقة الغير مباشرة، وذلك بادعائه وزعمه أنه يريد الإصلاح والنصح والإرشاد، فيأتي باسم النصيحة وعن طريقها؛ لكي يُقبل شره وإفساده وسمومه على من يريد أن يفرق بينهم، وهو يكِنُّ بداخله الحقد والحسد والغل على من يمليه عليه ويعبئه به فيأتي إلى هذا ويقول: إن هذا أخوك ظالم أو باغٍ. وما تركك وشأنك، و.. و.. و.. إلخ. يسعى بالنميمة والإفساد حتى يفرق الجمع ويشتت الشمل، وذلك المسكين المتلقي والملى عليه لا يشعر بمكره وكيده له وحسده وغله عليه وعلى أهل بيته معه؛ فأحببت أن أقدم بعض النصائح المهمة والوصايا العظيمة التي إن أخذ بها الشخص، تكون عونًا له في أن يُدرك مكر

من يريد أن يمكر به وكيد من يريد أن يكيد به:

الوصية الأولى: اعلم أخي الكريم أنك في هذه الحياة مبتلى ولا بد، وهذا أمر محتوم على الخلق جميعًا فمنهم من يُبتلى في نفسه، ومنهم في ماله، ومنه من يُبتلى بأبيه، أو بأخيه أو بولده، ومنهم..، ومنهم..، إلخ.

ولكننا دُعينا أن نواجه هذا الابتلاء بالصبر والتحمل والاحتساب والاسترجاع، فالصبر ويصحبه الصمت وهو أعظم أمر يستطيع العبد أن يجتاز به ويتعدى الصعاب ويفوز ويظفر وينجح عند الابتلاء ليكون ثمنه الجنة، قال الله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [فصلت: ٣٥].

ولهذا جاء عند الإمام مسلم من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للأشجع بن قيس: «فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة».

وقد سئل حكيم العرب الأحنف بن قيس عن الحلم فقال: «صبرك على ما تكره قليلًا».

وجاء عن عروة بن الزبير أنه قال: «رُبّ كلمة ذُل احتملتها أورثتني عزًا طويلًا».

فالعاقل يحذر أن يندفع أو يقدم إلى أمور تكون عاقبتها الخسران، بل قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ [الفرقان: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾

[الطور: ٤٨]. أي: نحن ابتليناك بذلك ونحن نترقب وننظر إليك ماذا ستعمل حال الابتلاء.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

ليأتي بعد درجة الصبر، العفو عمن أساء إليك وتعدى على حقك، وتعمد الظلم والجور لينال منك، قال الله: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، أي: ما دام أن الدنيا بأكملها زائلة وأن هنالك آخرة فلا أسى ولا حزن لما يحدث ويجري، وإنما عفوٌ وصفح وتصافي وتسامح؛ حتى يأخذ العبد مقابل ما بذل من عفو وصفح الجزاء من ربه عز وجل، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارحموا ترحموا، اغفروا يغفر لكم».

وجاء عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وأنا ضمين ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا».

هذا ضمان إلهي ووعد رباني لمن ترك الأخذ بالانتقام وإن كان على حق فيما يسعى إليه، ولهذا لما علم الصحابة والتابعون بهذا الفضل من الله والإكرام والجزاء منه سبحانه وتعالى حرصوا كل الحرص على أن يتعاملوا بهذه المعاملة الحسنة مع الآخرين، ولو كلفهم ما كلفهم من إزعاج وضيق وحرج في الصدور.

وهذا الإمام أحمد لـمَّا كان يدرس طلابه فدخل عليه رجل فسبه، والإمام ساكت، فزاد في السب، والإمام ساكت، فقال أحد الحاضرين: هلّا رددت عليه؟ فقال: إن رددت عليه فأين القرآن، والله يقول: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ويصحب هذا العفو كظم الغيظ، وهذا له عند الله من المنزلة الرفيعة والمكانة العالية ما لا يخطر ببال، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كتم غيظًا لو شاء أن يمضيه أمضاه دعاه الله يوم القيامة حتى يخبره من الحور ما شاء»(١). أي: هو قادر على أن يأخذ بحقه لكنه كتمه من أجل الله فيكرمه الله بهذا في وقت احتياجه إلى ذلك، بل قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، من كف غضبه ستر الله عورته». وفي الحديث الآخر: «من كتم الله غيضه ملأ الله قلبه رضى». لأن من كتم غيضه يكون قد غلب نفسه وقهر شيطانه صاحبه وأرضى ربه فجازاه الله بهذا الجزاء وأكرمه بهذا الإكرام في ذلك اليوم الشديد حره يوم يتعب الناس وينصبون.

وأضرب لكم مثالًا واحدًا في هذا الباب لصحابي جليل ألا وهو الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليكون لنا قدوة حسنة في ذلك، هذا الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كان له غلامًا فأعطاه جُرة(٢)؛ ليصب عليه الماء ليتوضأ وبينما هو كذلك إذ سقط الإبريق على رجل الحسن، فنظر الغلام إلى وجه الحسن فرآه قد تغير،

---

(١) رواه الترمذي، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو حسن.

(٢) الجرة: إبريق فيه ماء.

فأخذ يُذكره، فقال له: يقول الله: ﴿وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾، فقال الحسن: كتمت غيظي، فقال الغلام: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، فقال الحسن: عفوت عنك، فقال الغلام: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فقال الحسن: اذهب، أنت حر لوجه الله.

فبمثل هذه المواقف أخلد الله ذكرهم وأسعد حياتهم وبشرهم بالجنة قبل أن يموتوا، فهذه هي عين السعادة والله.

جعلني الله وإياكم ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه وينعمون باتباعه والعمل به.

دليلك إلى تحقيق السعادة مع إخوانك

الإنسان قد يرى في بيته ما يغضبه، ويسمع ما يؤذيه، ويؤلمه ولو تُرد الإساءة بمثلها لعاشت الأسر في صراع، والحل هنا: هو أن تقابل الإساء بالإحسان لتعيش الأسر في أمان ومن كره خلقًا من أخيه أو ولده أو زوجه رضي خلقًا آخر وخطأ اليوم يصلحه غدًا، فمن حاد عن هذا كدر على نفسه وأهله.

فالإنسان اللبيب لا يتعامل بالغضب ولا بسرعة الانفعال والرد السريع، فإن هذا يؤدي بالشخص إلى ما لا يُحمد عقباه، هذا الأحنف بن قيس لما جاء إليه رجل فخاطبه وعنفه فقال له: لئن قلت واحدة -أي: سببتني مرة- قال: لتسمعن عشرًا -أي: لرددت عليك عشر مرات- فقال الأحنف -وهو حكيم العرب-: لئن قلت عشرًا لا تسمع مني واحدة.

قال الشاعر:

قالوا سكتُ وقد أوذيت قلت لهم ... إن الجواب للباب الشر مفتاح
فالصمت عن جاهل أو أحمق شرفٌ ... أيضًا وفيه لصون العرض إصلاح
أما ترى الأُسدَ تُخشى وهي صامتة ... والكلب لا يُخشى وهو نباح

فالصمت هنا فضيلة، بل نجاة لصاحبه وصون لعرضه وماله إذ لو حصل الرد لربما استفحل الشر وازداد فعند ذلك يصعب معالجته واصلاحه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من صمت نجا».

فالشر لا يُطفأُ بالشر، كما أن النار لا تطفأ بالنار، وإنما يطفئ الخير الشر، كما يطفئ الماء النار.

وقال الشاعر:

من يلاقى النار بالنار يزدها لهبًا إطفائهُ يغدوا محالا
أعطنى حبًّا وخذ منى وفاءً أعطنى عدلاً وخذ منى اعتدالا

وقال الشاعر:

إذا دفع الشر العظيم بمثله تحصل شرٌ ثالث وتولدا
وأمست دواء الشر ذات تزلزل مديد وسار الشر في الاس سرمدا

فالحليم لا يؤْثِر العاطفة على العقل عند سماع حادثة أو أمرًا مهولًا، فالبعض قد يسمع مع امرأته أو من ولده أمرًا فيتعاظم ويكبر في نفسه فيندفع اندفاعًا جنونيًّا واندفاعًا شيطانيًّا، فربما يقع في الواقعة وفي الأخير يتبين عدم صحة الكلام فيُفسد أكثر مما يُصلح.

ولو صبر وتأنى لما حصل من هذا شيء وهو وقت قصير يصبر ويجاهد نفسه على الصبر، وإذا به يزول ما في صدره من الغيظ، والحمد لله رب العالمين، فلا يقولن أحد: أنا ما عندي صبر، وأنا سريع الغضب والانفعال، فنقول له: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الصبر بالتصبر، والحلم بالتحلم». أي: ما أحد ولد صبورًا ولا حليمًا، وإنما هذه الغريزة موجودة في الكل، ولكن بالمجاهدة

للنفس والدعاء بأن يرزقك الله الصبر والحلم تنال هذا بحمد الله رب العالمين.

قال الشاعر:

تصبَّر تصبَّر وإن مسك الضر في ساعة فلا تعجلن فالله معك وأنت عبده في كل ساعة

ولا تعاقب في حال الغضب حتى وإن كان مستحقًا للعقوبة، بل أجل حتى يسكن الغضب=لتكون العقوبة بمقدار الإساءة لا بمقدار الغضب.

ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». متفق عليه.

فهذا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كونه بشرًا فقد كان فيه غريزة الغضب، لكنه يا ترى كيف كان يصرفها وأين كان يجعلها؟ إنه لم ينتقم لنفسه قط، فلم يضرب رجلًا ولا امرأة ولا عبدًا قط وإنما كان ينتقم لله إذا انتهكت حرمات الله، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله بها». متفق عليه.

فأين نحن من نبينا عليه الصلاة والسلام؟!

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليكم. قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة قالت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، فقلت: يا رسول الله، وألم تسمع ما قالوا؟ قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد قلت: وعليكم»[١] .

هذه هي مدرسة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، فإذا دفعت السيئة بالحسنة انعكست الأمور وتحولت من الشر إلى الخير وأصبح ذاك العدو الذي كان يريد لك الشر يريد لك الخير، لكن إذا قوبلت السيئة بمثلها فكيف سيحصل الإصلاح ومن أين سيأتي الخير؟ فينبغي أن نعي ذلك وندرك ذلك جيدًا:

فأحلم الناس عاقلٌ لمس الجرح وابتسم

والأمر المهم هنا: الحذر من النمامين الذين يسعون في تهييج الأمور وتصعيدها من أجل إقامة الفتنة بين الناس وأن نقف في وجوههم بالحكمة لا بالاستجابة لدعواهم ومتطلباتهم، بل وبالنصح لهم.

فها هم السلف الصالح خير من وقف في وجوه هؤلاء، فهذا خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دخل عليه رجل من الناس فقال له: إن فلانًا شتمك، فقال: تلك صحيفته فليملأها بما شاء.

---

[١] رواه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم (٢١٦٥).

فلم يتفاعل ولم يتسرع بالحكم عليه أو الانتقام منه.

وعن جبير بن عبد الله قال: شهدت وهب بن منبه وجاءه رجل، فقال: إن فلانًا يقع فيك. فقال وهب: أما وجد الشيطان أحدًا يستخف به غيرك؟ قال: فما كان بأسرع من أن جاء الرجل فرفع مجلسه وأكرمه[1].

أي: أن الذي ينقل الكلام لغرض الإفساد بين الناس يُعد من رسل إبليس -عياذًا بالله- فاحذر أن تكون عونًا للشيطان على إخوانك.

وجاء رجل إلى الإمام الشافعي فقال: إن فلانًا يتكلم فيك، فقال: إن صدقت فأنت نمَّام وإن كذبت فأنت فاسق[2].

وقال رجل لحكيم: فلان يشتمك، فقال: لقد رماني بسهم فلم يصبني، فلما حملت السهم فغرسته في قلبي.

هكذا كان السلف الصالح حكماء مع المتقولين والثرثارين، حتى قال أحد الصالحين: لا تخبرني عمن يكرهني أو يتكلم فيَّ؛ اتركني أضحك وأضحك مع الجميع.

بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: «**لا يبلغني أحد من**

---

[1] رواه الإمام أحمد في «الورع» (٦٢٠) وابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» رقم (٩٤) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧١/٤)، ومن طريقه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤٢/٧).

[2] «متى تكون لحوم العلماء مسمومة؟» (ص/١٢٦).

أصحابي عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[(١)].

فلما سلمت الصدور؛ عمرت بالإيمان والتقوى والرجاء في الله والطمع فيما عنده، ولكن إذا خالط بشاشتها الشحناء والبغضاء، ودخل الشيطان ليفسد فيها ويلعب كدر صفوها وعكر مزاج أصحابها.

ولا يظن أحدنا أن الدنيا جنة ليس فيه مكدرات ولا منغصات، ولكن بالعمل بالأسباب يحصل الخير، فأرح نفسك ولا تكلفها فوق طاقتها، ولا تشغل نفسك بما قام به غيرك عنك، فالله هو المدبر للأمور والميسر لها، وله الحكمة البالغة في ذلك، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢ / ٨٧٣) وأبو داود (٤٨٦٠) والترمذي (٣٨٩٦)، (٣٨٩٧)، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من طريق الوليد بن أبي هشام، وهو مجهول.

حتى تنعم بحياتك مع إخوانك

من المعلوم أننا كلنا بشر وأن كل البشر مجبولون على الخطأ والتقصير، كما صح ذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[١].

فقد يخطئ الشخص ولكنه لا يرى أنه قد أخطأ، بل أحيانًا قد يبتدئ بالخطأ، لكنه لا يشعر أنه قد أخطأ، إما لقلة فهم منه، أو لقلة إدراكه لأبعاد الأمور؛ لأن الناس يتفاوتون في الذكاء والفهم والإدراك، وهذا كثيرًا ما يحصل من الأبناء خصوصًا الذين هم في سن الطيش أو حتى من كبار السن الذين هم بعيدون عن العلم والمعرفة التامة بأحوال ونواميس الحياة، ولكن ما أجمل أن نلتمس لهم الاعتذار فإن هذا من أفضل لمساتنا السحرية لكل القلوب؛ لأن منزلتك كأب أو أخ أكبر يجبرك على أن تقبل الناس على ما هم عليه مع بذل النصح لهم حتى قال عمر: «إذا رأيت من أخيك خطأ فالتمس له عذرًا، فإن لم تجد له عذرًا فقل: لعل له عذرًا لا أعلمه»[٢].

فإذا رأيت من أخيك زلة أو مصيبة أو حاثة فعليك أن تعالج الأمور وتحسن وترفق به كما تحب أن يُرفق بك ويُحسن إليك، وأن تلين لأخيك، خصوصًا إذا كان هذا الأخ الذي حصل منه الخطأ والتقصير في حقك من

---

(١) رواه أحمد (٥/٢٧٦٣) والترمذي (٢٧٠٣)، وابن ماجه (٤٣٧٥)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) تقدم.

الأقارب أو الزملاء في العمل أو الدراسة، فهذا أولى وأحق أن يعامل بمثل هـذه المعاملة الحسنة؛ لأن الخصام هنا لا يُطاق مـن كلا الطـرفين حـتى قـال أحـد الحكماء: «لا تخاصم من تعاشر بالضرورة».

فالخصام هنا لا يطاق؛ لأنه لا يمكن ابتعاد واحـد عـن الآخـر بضرورة اللقاء اليومي في العمل المشترك أو السكن أو الجوار، فزميل العمل أو السكنى أو الجوار المسمى برفيق الوجه، هذا لا يمكن الابتعـاد عنـه؛ لأنـه إن حصـل هذا كان تأثيرًا على العمل أو الدراسـة، بـل حـتى على أخـلاق الصـداقة بفعـل التقلبات النفسية والظروفية فالحفاظ على الصـداقة هنـا مهـم جـدًا حـتى لا يتسبب في فقدها وانقلابها إلى عداوة، والله المستعان.

أنت في نعمة وأنت لا تشعر

في ظل وجود إخوانك معك وبني عمومتك وأقربائك، واجتماعك معهم، هذا يُعد من سعادة المرء، خصوصًا إذا كان هذا الاجتماع يقوم على التعاون على البر والتقوى والإصلاح في أمور الدين والدنيا ويسوده التعاطف والتناصح والتآزر على ما فيه الخير والإحسان، فهذا لا يعرف قدره إلا من فقده، ولهذا كثيرًا ما يحث النبي صلى الله عليه وسلم أمته ويبين لهم أن الخير كل الخير لهم في اجتماعهم وجمع كلمتهم على الحق، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يد الله مع الجماعة»[1].

وقال في الحديث الآخر: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد»[2].

فاجتماع كلمة المسلمين على الحق المبين وعلى الهدى المستقيم هذا أمرٌ مهم للغاية، بل ومطلوب لما يحصل من جراءه إقامة دينهم ودنياهم وعزتهم ومكانتهم وحفظ أمنهم واستقرارهم، ولكن هناك أمر مقدم على ذلك وأولى من ذلك ألا وهو أخوة أخيك من أبيك وأمك الذي هو شقيقك، والذي يحصل بسببه ترابط الأسر واجتماعها وتحقيق الخير لها في الدنيا والآخرة، فكوني أطرق هذا الباب ألا وهو باب الترابط الأسري؛ لأهميته في أوساطنا؛ لأن

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٥) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الشيطان حريص على تفريق الصف واختلاف الكلمة وتشتيت الأسر، كما بين ذلك نبينا في الحديث فقال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم»[١] .

ولهذا تجد بعض الأخوة إذا تلقّى نصيحة من أخيه الأكبر أو حتى من أبيه أو أمه أقام الدنيا ولم يقعدها وجعلها عليه عتابًا وضرب لتلك الكلمة ألف حساب، وكأنه سقط عليه جبل، ويؤولها في عقله على كيف ما أملى عليه الشيطان، ولو كانت من غير قريبه، ربما لم يبالي بذلك، وهذا من عمل الشيطان يريد أن يُفسد الأخوة ويفرق الأسر ويشق ويصدع الصف، وإلا فهي كلمة إن كان فيها خير قبلته وإن كان فيها شر كما تزعم فدعها وشأنها، وكما يقال: كلمة شلتها الريح. أو سقطت في البئر. ودعك من الوساوس والتأويلات الفاسدة، فينبغي أن تتحمل ما لم يوافق هواك ومرادك وأن تعلم أن أخوك ما نصحك وأخذ بيدك إلا لأنه يحب لك الخير وأن تكون على الصواب، ولو لم يكن كذلك لتركك ولم يعاتبك وجعلك كبقية الناس، لكن لمحبته لك وحرصه على اصلاحك جعله ذلك يعاتبك على أخطائك ودفعه ذلك إلى توجيهك ونصحك فلهذا لا ينبغي أن تستهين بالأخوة أو أن تسيء الظن بها، فالأخوة غالية غالية لا يعرف قدرها وثمنها إلا من ضيعها، ولهذا انظر ماذا قال الله لنبيه موسى عليه السلام: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥].

---

[١] رواه مسلم (٢٨١٢).

فقيمة هذه الأخوة لا يعرف قدرها إلا عنـد النوائـب والاحتيجـات والنـوزال، كمرض نزل بك، أو فاقة حلت بك، هنا لا يقـوم بسـدها على أكمـل وجـه إلا أخوك الذي هو من لحمك ودمك.

وذكر بعض الكتاب قصة: أن مجموعة من الناس في إحدى القرى الريفيـة كانت لهم بئر يدوية يشربون منها ويسقون منها أنعامهم وفي ذات مـرة حصـل أمر مهول ألا وهو كلما أنزل أحدهم دلـوه ليـدلي الماء رجع حبلـة بـلا دلـو، فاجتمع أهل القرية يتحدثون عن ذلك ويقولون: ربما أنها مسكونة بالجانّ، ثم اقترحوا أن ينزل أحدهم إلى قعرها لينظر ما الأمر فأشاروا إلى أحدهم أن يـنزل إلى قعرها وهم يمسكون بالحبل الذي عليه، فقال: لن أفعـل حـتى يحضرـ أخي ليمسك معكـم الحبل، فطلبوا أخاه، ثم أنزلوه، وهم جميعًا آخذين بالحبـل الذي نزل عن طريقه، فلما نزل وجد في إحدى زوايا البئر قردًا يفك الحبال الـتي على الدلو، فأخذ برقبة القرد وصاح بهم أن ارفعـوا الحبـل، فبينمـا هـو يصـعد على الدلو، إذ رأوا القرد معلق في يده، فظنوا أنه شـيطان، فـأفلتوا بالحبـل الذي هـو معلق به، وولوا فارين، ولم يبق آخذ بالحبل إلا أخوه من أبيه وأمه، حتى صـعد إلى حافة البئر.

هكذا الأخ يكـون سندًا لأخيه عند النوائب وركنًا له عندما يتخلى عنـه الناس، ويتركه الأصحاب، فأصدقاء السوء وإن أبدوا لك شيئًا مما تحـب فلابـد أن يتخلوا عنك يومًا ما لكـن أخوك هو الذي لا يتركك في حياتـك ولا حـتى بعد مماتك، ولهذا أقول حتى وإن حصل الخلاف فهذا أمر طبيعي وهذه سنة الله

في خلقه، ولكن تبقى الأخوة والعشرة التي دامت لعقود من القرون نذكر خيرها ونتجاوز ونعفو عن شرها حتى تستمر وتدوم وتبقى، لننعم بها ونسعد في هذا الزمان من العمر القصير وكما يقال: رعى الله من تجمل، والسعيد من أسعد غيره، يحبهم ويحبونه، والله المستعان.

إضاءة

الإيمان بالله يذهب الهموم ويزيل الغموم وهو قرة عين الموحدين وسلوة الصابرين، ليكن شعارك دائمًا: «ما مضى فات، وما ذهب مات، ما هو آت آت، فلا تفكر فيما مضى، فقد ذهب وانقضى»

واترك المستقبل حتى يأتي، ولا تجعل همك غدًا، فإنك إن أصلحت يومك أصلحت غدًا، وارض بالقضاء المحتوم والرزق المقسوم، فكل شيء بقدر، حتى العجز والكسل، ما ذهب فات ولن تستطيع أن تدركه، فلا تتضجر، والمؤمل غيبٌ ولك الساعة التي أنت فيها، فكن ابن يومك ولا تكن ابن أمسك أو غدٍ، فكما كنت في العهد القريب غير موجود فبعد عهد قريب ستكون غير موجود، فلا تحزن ولا تندم على أمر حصل لك في الدنيا إلا على أمر يضرك في الآخرة، فكن من أبناء الآخرة ترتاح الدنيا والآخرة، ولا تكن من أبناء الدنيا تخسرهما جميعًا.

حياتك واحدة فقط، فلا تكدرها وتقصرها بالأحزان وتذكر الآلام والأوجاع، فلا أحد يستطيع أن يسلم من منغصات حتى لو عاش وحيدًا في رأس جبل؛ لأن الحياة مجبولة على ذلك، لكن بإيمانك تتغلب على ما يجري لك فيها ويتيسر لك كل خير فيها، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا

﴿٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُم صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦، ٦٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧، ٩٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

أي: لا تخافوا ما تقدمون عليه من بعد مماتكم، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم[(١)].

فالاستقامة على الدين أمان لصاحبها مما يخشاه أو يخافه أن الله سيتولاه ويرعاه بفضله وإحسانه سبحانه وتعالى.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٢٦ – ٤٢٧).

نصائح ذهبية

يعاملك الناس بما تعاملهم به وكما تدين تدان، وبقدر ما تعطي تأخذ، حتى وإن جفا عليك أخيك، فإنك تتقبل ذلك بروح التسامح والعفو.

- إنك إن أحسنت إلى الناس احتفوا بك، وإن جفوتهم جفوك، فكيف تريد الاحترام والتوقير من الآخرين وأنت تجحد حقوقهم.

واعلم أنك إن أحسنت وأكرمت الناس فإنما أكرمت نفسك وإن أهنتهم أهنت نفسك فاختر لنفسك ما تحب؛ فإن الجزاء من جنس العمل.

- اترك لنفسك خط رجعة، فإذا خاصمت أحدًا في أمر، فاترك للصلح موضعًا؛ فإنك لا تدري بالعواقب، واجعل هناك إمكانية للمصالحة، ولا تكثِّر أعداءك، فإن ألف صديق قليل وعدو واحد كثير.
- إن اتخاذ أي شخص عدوًا انشغال للفكر وتكدير للخاطر ويكفي هذا ضررًا، وما من أحد إلا يتلافى الأخطاء بكلمات وعالج الخصومة أول الطريق قبل أن تتعاظم فعند ذلك يصعب معالجتها.

- لا تظهر التحدي لأحد من الناس، بل إذا ذُكر لك غلط صدر منه فأظهر له أن الأمر قريب وأن ما بيننا من روابط وعلاقة أعظم من أن يكدره موقف.
- إياك أن تتوعد أحد بسوء لأن معنى هذا أنك مصدر خوف وإزعاج ولن يأمن من جانبك أحد فعند ذلك تصبح عدوًّا بينًا تهدد أمن الناس واستقرارهم ولكن ادع إلى السلام والمحبة والتآلف.
- لن يصفو لك أحد فاقبل الناس على ما هم عليه.
- تقبل الناس وسامح وتحامل ولا تشترط شروطًا صعبة في قبول الناس أو صداقتهم فإنك لو طبقت هذه الشروط على نفسك ربما ما أفلحت.
- لا تؤاثر العاطفة على العقل، فما أكثر الذين يستعملون العاطفة خوصًا عاطفة المرأة أو الطفل فينجرون وراءها ويندفعون اندفاعًا جنونيًّا إلى أمر ربما لا أساس له من الصح ثم بعد ذلك يندمون.

الله هو الخالق الرازق، وهو المتفضل على عباده يعفو عنهم يغفر لهم، وأنت لم تخلقهم ولم ترزقهم وتريد أن تحاسبهم أشد الحساب، إذًا اعترف ببشريتهم وضعفهم وغض الطرف عنهم لتكسب الجميع.

- حوّل أعداءك إلى أصدقاء فالمهارة واللياقة تقتضيان أن تجعل العدو صديقًا بمد الجسور معه والمصالحة أما تحويل الصديق إلى عدو، فهذه قمة الغباوة والحمق.
- تصرف بعقل ومسئولية وبابتسامة أو هدية أو كلمة طيبة أو ترسل رسائل إيجابية لخصمك علَّه أن يعود صديقًا؛ لتسلم من غوائل عداوته فتنام قرير العين مطمئنًا، استل من نفس عدوك الضعيفة بلطفك وفي النهاية أنت الرابح السعيد بحمد الله رب العالمين.
- الحياة مليئة بالمنغصات ولابد، فقد يشكو الشخص من أخيه أو من جاره أو من قريبه، بل ربما من والديه، وهذه هي طبيعة الحياة فمن لم يتعامل بالحكمة والصبر والمصابرة ساء حاله وتكدر عيشته فالوالدان إذا لم يكن منهما المخالفة فكيف ستحقق الطاعة؛ لأن الطاعة لهما لا تكون إلا في حالة مخالفة الرأي معهما، فاحتسب لتثاب الأجر من ربك، أما إذا توافق الرأي معهما فأي طاعة هنا ستكون وكلما كان الشخص من الله أقرب وأعرف كلما هانت عليه المصاعب والمتاعب ولهذا قال أحد العارفين: «من رطب لسانه بذكر الله لن يتعب من جفاف الحياة».

وهذا من إكرام الله للعبد الصالح ألا يبالي بما يجري حوله من نواميس

الحياة وأحوالها، أما ان يقول الإنسان: أنعزل عن الناس. فهذا ليس حـلًّا ولهذا يقول الشاعر:

لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مـن ضـدٍّ وَلَـو   حاول العزلةَ فِـي رَأسِ الْجَبَـل[1]

عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عـن النـبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قـال: «المـؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخـالط النـاس ولا يصبر على أذاهم»[2].

فالضد لا بد في هذه الحياة كائنًا من كان.

- ❖ الحياة لا تعطينا كل ما نريد هي أقـدار شـئنا أم أبينـا فلنرضى بالواقع الذي قدر الله لا تأتي الأمور على قـدر حملك وإنما على قدر سعيك اليها.
- ❖ في قلب كل إنسان نبته صالحة إن سقاها بخير تفرعت وصنعت له بستاناً وإن سقاها بشر فسـدت وأفسـدت نفسه وإخوانه ما حوله.
- ❖ لا تعمل الطاعة تخلصاً وأعملها مخلصاً في أدائها.

---

[1] «السحر الحلال في الحكم والأمثال» (ص/٩٧).

[2] رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

- قال الحسن (لقد أدركت أقواماً ما كانوا يفرحـون على شئ من الدنيا أقبل ولا يتا سـفون على شيء منهـا أو جر لهي كانت أهون في أعينهم من التراب)
- جميل أن تصمت في وجه من ينتظر منك الخصام كما أنه جميل أن تضحك في وجه من ينتظر منك البكاء.

كلام من درر

ويغنيك عن الدنيا مصحف شريف، وبيت لطيف، ومتاع خفيف، وكوز ماء ورغيف، وثوب نظيف. والعزلة مملكة الأفكار، والدواء كل الدواء في صيدلية الأذكار، وإذا أصبحت طائعًا لربك، وغناك في قلبك، وأنت آمن في سربك، راضٍ بكسبك، فقد حصلت على السعادة، ونلت الزيادة، وبلغت السيادة. واعلم أن الدنيا خداعة، لا تساوي همّ ساعة، فاجعلها طاعة.

أتحزن لأجل دنيا فانية؟! أنسيت الجنان ذات القطوف الدانية؟! أتضيق والله ربك؟! أتبكي والله حسبك؟!

الحزن يرحل بسجده والبهجة تأتي بدعوة.

قلت: فكيف لشخص يطلب السعادة في دنيا فانية دخل إليها باكيًا ورحل منها مبكيًّا عليه، فأنى له السعادة بين بكائين، فالدنيا أحقر من أن يفرح الشخص على شيء فيها، أو يحزن على شيء فات عليه منها بجوار جنة عرضها السموات والأرض فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الخاتمة

ليعلم كل واحد منا بأن الله ﷻ خلقه في هذه الحياة وأوجده لهدف واحد وغاية واحدة ألا وهي إقامة عبوديته وواحدانيته قال الله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ الذاريات: ٥٦

ورتب سبحانه على إقامة عبوديته ووحدانيته، رتب على ذلك السعادة الأبدية السرمدية في الدنيا والآخرة.

فمتى انحرف الناس عن هذا السبيل وعن هذا الهدف الذي خلقه الله من أجله فلا بد أن يجد عكس ذلك ألا وهو الشقاء والعناء والضيق والهم والحزن.

ولهذا قل لي بربك كيف يجد الإنسان العاصي المتمرد على ربه كيف يجد الضيق والضنك عندما يرتكب المعصية والمخالفة.

فالذي يسمع الأغاني لا بد أن يجد بعدها الضيق والضجر، والذي يقع في الفواحش كذلك والذي يشرب الخمر، والذي يزني ويقتل، والذي يقطع الصلاة ويعيق والديه، والذي والذي... كل هؤلاء يعانون بعد ارتكابهم المخالفة من حرج في الصدر وضيق في النفوس.

لماذا؟ وقد كانوا قبل ذلك يتلذذون بممارستها، لماذا؟ هذا التحول من لذة إلى حسرة ومن فرحة إلى حزن وندم وبكاء وعويل؛ لأنه انحرف عن المسار الذي خلقه الله من أجله؛ ولأنه وظَّفَ نفسه في غير ما خلقها الله له.

حتى أنك تتسأل لماذا يكثر الانتحار في البلدان الإباحية والفجور بشكل كبير؟

على الرغم من توفر كل متطلباتهم المادية، وأنهم يفعلون ما يشاؤون، ويصنعون ما يريدون، لماذا ملوا هذه الحياة، بهذا الشكل وفضلوا لأنفسهم أن يتخلصوا منها؟

تجد الإجابة في قول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤ وفي قوله ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ آل عمران: ١٥١

لأنهم أرادوا الدنيا ونسوا الآخرة فكان هذا هو نهاية حالهم، حتى أني سمعتُ بل وقرأتُ عن أحد كبار المهندسين في العالم، أنه بنى جسرًا عظيمًا ألا وهو جسر إسطنبول الذي يربط بين قارتين آسيا وأربا، وهذا الجسر يعبره في اليوم الواحد مئات الآلاف من السيارات والمشاة، وفي أثناء افتتاحه الجسر ألقى بنفسه من أعلاه، فذهبوا إلى غرفته في البيت فإذا بورقة مكتوب عليها: **لقد ذقتُ كل شيء في الحياة، فلم أجد لها طعمًا، فأردت أن أذوق طعم الموت.**

طبعًا هذا الرجل كافرًا، فالحياة بدون معرفة الله، وبدون معرفة دينه وشرعه حياة جوفاء حياة تافهة حياة لا قيمة لها.

هؤلاء ما عرفوا طريق السعادة، أنها طريق الاستقامة الهداية والالتزام ما عرفوا طريق الجنة –أعني جنة الدينا- التي يقول العارفون عنها: «من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة».

قال الله تعالى: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦ ﴾ محمد: ٦ فأهل الطاعة هم الذين يجدون لذة العبادة فهم يتنعمون ويسعدون بها، كما أن غيرهم يشقى ويبأس ويتعس بغيرها.

فهم يجدون لذة الإيمان في حياتهم وطعمه في قلوبهم وحلاوته في أفئدتهم وصدورهم، ولهذا قال أبو سفيان ذات مره لأصحابه يومًا وهو يحكي لهم عن حال أحد المسلمين الذي قُتل في المعركة، قال لما كان أحد المسلمين في بعض المعارك فجاءه سهم غائر، فوقع السهم على قلبه فصاح الرجل قائلاً: فزت ورب الكعبة، يقول أبو سفيان: فوقفتُ أمامه متعجبًا! بأي شيء فاز، أفاز بالألم؟ أفاز بالموت؟ أفاز بخسارة الأهل والأولاد ومفارقة الأصحاب والأحباب؟ بأي شيء فاز؟ هنالك شيء أعظم من الدينا، وما الحياة الدنيا كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝١٨٥ ﴾ آل عمران: ١٨٥ إنه حُبُ الله، إنه حب هذا الدين، ذلك الشيء العظيم الذي يسهر من أجله المحبون ذلك الشيء

الأعظم الذي من أجله ينفق المنفقون ذلك الشيء الأعظم الذي من أجله يسترخص المرء عنده ودونه كل شيء إنه حب الله وحب رسوله دينه وشرعه.

هذه هي الحياة التي الناس بدونها أموات وهي النور التي بدونها الناس يعيشون في بحار الظلمات وهي الشفاء والناس يعيشون بدونها في الأسقام نعم إن المحب لا يكاد أن يجد مع محبوب أي ألم أو أي وجع بل بالعكس يهون الألم ويهون الوجع عندما يعلم أن في صبره رضاء للمحبوب فيتلذذ بالألم ويتلذذ بالسهر من أجل أن يرضى عليه المحبوب ولقد كان هذا دأب الصالحين في قيام الليل عند تصطف أقدامهم بين يدي خالقهم فلا يتعبون ولا ينصبون، بل يتلذذون ويقولون: إن الناس أموات ولو مشوا على أقدامهم ولو تنفسوا أنوفهم يدخلون الدنيا ويخرجون منها وما ذاقوا ألذ ما فيها فعندما يُسألون وما ألذ ما فيها فيكون جوابهم حب الله وحب رسوله عليه الصلاة والسلام.

فالسعادة كل السعادة تكمن في الامتثال الكامل لأمر الله وأمر رسوله واجتناب نهيه ونهي رسوله تكمن في الاتباع لا في الابتداع، وفي التمسك لا في التهتك في الاتباع للحق ولا يضرك من خالفك لا في مسايره الناس على أهواءهم في الاصلاح ما بينك وبين الله وما بينك وبين خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بل تكمن في تحقيق العدل لا في الظلم وفي الرحمة لا في القسوة، في تحقيق الأخوة الدينية لا الأخوة الحزبية المقيتة المذمومة في الشريعة، تكمن في طاعة الوالدين والقرب منها لا العقوق لهما والبعد عنهما في تقبيل يد أمٍ رؤوم وأبٍ

حنون في القيام بخدمتها، والتذلل بين أيديهما، أما أن الشخص يبقى طائعًا لزوجته عاقًا لأمه مقربًا ولدًا مبعدًا لأبيه، متلطفًا بصاحبه متنكرًا لأبيه، ويريد أن تكتمل له السعادة فهذا محال في البديع قياسه.

فالله الله أن نعيد النظر في حياتنا وأن نعيد النظر في أنفسنا كيف نحن مع ربنا ومع معاملاتنا مع إخواننا حتى تكمل لنا السعادة ويتحقق فينا الخير ويدوم وتستقيم لنا الحياة ويطيب لنا العيش في الدنيا والأخرى.

هذا وأسأل الله ينفعني بما كتبته وجمعته وأن يجعل ذلك ذخرًا لي ولوالدي إلى يوم الدين، كما أسأله ﷻ أن يُثيب من قام بطباعته وأعاد نشره أن يثيبه الخير المثوبة ويجزيه خير الجزاء وأن يبارك فيه، وفي ماله إنه سميع قريب مجيب الدعوات وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه/

عبد الجليل بن محسن بن عبد الله العرقبي الحلة

المقيم بدار الحديث بمعبر اليمن حرسها الله

٧١١٥٩٤٧٩٧-٧٣٩٨٥٠٩٠٠

تم بحمد الله

٢٥-فهرس الموضوعات

مقدمة.. ٥
الباب الأول.. ١٠
الفصل الأول ١١
مفهوم السعادة ١١
أقسام السعادة ١٢
الفصل الثاني... ١٥
أسباب السعادة ١٦
السبب الأول الدخول في الإسلام والعمل بمقتضاه ١٧
السبب الثاني إقامة التوحيد.. ٢٢
السبب الثالث الإقبال على القرآن الكريم تلاوةً عملاً وحفظًا وتدبرًا.......... ٢٦
السبب الرابع طلب العلم. ٣٠
السبب الخامس تحقيق الاتباع واجتناب الابتداع ٣٥
السبب السادس الابتعاد عن الفتن.. ٣٧
السبب السابع الإيمان بالقضاء والقدر...................................... ٤٠
السبب الثامن الصبر على المصاب ٤٢
السبب التاسع الأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة ٤٥
السبب التاسع عدم الإنغماس في الفتن والدخول فيها ٤٨
السبب الحادي عشر الإحسان إلى خلق الله وإلى عباد الله جميعًا ٥١
السبب الثاني عشر طهارة القلب من الحسد والغل والشحناء والبغضاء ٥٥
السبب الثالث عشر حسن الظن بالله.. ٥٧
السبب الرابع عشر الاقتراب من الله والأنس بالله.............................. ٥٨
السبب الخامس عشر أن نتذكر ان الله على كل شيء قدير...................... ٦٠
السبب السادس عشر العفو عن الناس والصفح عن الاخرين.................... ٦٢

السبب السابع عشر ذكر الله ٦٤
السبب الثامن عشر الحياة الزوجية ٧٠
السبب التاسع عشر محاسبة النفس ٧٧
السبب العشرون سعة الصدر وسلامة القلب من الأحقاد والضغائن وحبِّ الانتقام وغير ذلك مما يفسد على القلوب راحتها ٧٩
السبب الحادي والعشرون المرأة الصالحة والبيت الواسع والمركب الهنيء . ٨٣
السبب الثاني والعشرون ترك الذنوب والمعاصي ٨٦
السبب الثالث والعشرون تسلية المصاب ٨٨
السبب الرابع والعشرون أن تكون متفائلًا ٩٤
السبب الخامس والعشرون مصاحبة الصالحين الأخيار ومجانبة الأشرر والفجار ٩٧
الباب الثاني ١٠٣
الفصل الأول ١٠٤
مفهوم السعادة ١٠٤
السعادة ليست سعادة الأبدان فقط ١٠٨
ما أكثر الذين يريدون السعادة ولكنهم يخطئون في طريقها ١٠٩
مشكلتنا مع عدم تحقيق السعادة ١٠٩
أمر عجيب ١١٣
الباب الثالث ١١٦
حقيقة السعادة ١١٧
مأساة كثير من الناس اليوم ١٢٤
قصة مشوقة عن السعادة ١٢٧
حتى لا تتفرق الأسر ١٣١

دليلك إلى تحقيق السعادة مع إخوانك..١٣٦
حتى تنعم بحياتك مع إخوانك..١٤٢
أنت في نعمة و أنت لا تشعر...١٤٤
إضاءة...١٤٨
نصائح ذهبية..١٥٠
كلام من درر...١٥٥
الخاتمة...١٥٦